

الدكتور صفوت حاتم

ألغاز وأسرار نكسة يونيو ١٩٦٧

هدية



Email : arabunionist@gmail.com - sahara1955@gmail.com

websit : http://www.alfikralarabi.net/vb/forumdisplay.php?f=105

سليم حجار

مقدمة لا بد منها ...

تحيط بحرب عام 1967 كثير من الظلال والأسرار التي تتكشف يوما بعد يوما .. وقد ظلت هذه الحرب - وماصاحبها وتلاها من آثار نفسية وسياسية واجتماعية واقتصادية – تشكل حالة من الجدل الفكري والدعائي بين مختلف التيارات السياسية في الواقع العربي من اليمين واليسار ، أو ماكان يسمى في ذلك الوقت : القوى التقدمية والقوى الرجعية .. وعلى الرغم من سقوط كثير من الأفكار والعقائد في مستنقع الإبتذال السياسي .. ظلت حرب عام 1967 مجالا للتشهير المغرض من جانب قوى من اليمين الرجعي وقوى اليسار الطفولي الصبياني .. كما سنرى فيما بعد .. بينما وقفت القوى التقدمية الحقيقية في موقف الدفاع الخجول عن نفسها .. في معظم الأحيان .. أو موقف رد الفعل الطفولي .. في أحيان أخرى ..

وفي ظل حالة التبسيط .. والإستسهال .. والجهل أحيانا .. وهي حالات نراها تشيع في بعض اوساط النخبة العربية ..

في ظل هذه العقليات ضاعت كثير من الدروس الكبرى التي تمخضت عنها هذه الحرب .. وسقطت معظم المعاني النبيلة التي نتجت عن سقوط أرواح الآلاف من ضحايانا .. هم الأخ أو الزوج أو الأب أو الأبن .. من حق هؤلاء .. ومن حق ذويهم .. ومن حق الأجيال الحالية والقادمة .. معرفة " الحقيقة " كاملة فيما حدث وأسبابه ونتائجه ..

والحرب هي لحظات كاشفة لمكونات الأمة و أصالتها .. والهزيمة هي اصعب اللحظات في تاريخ الأمة .. انها تكشف بشكل عاصف ومرير العيوب والأمراض الكامنة في جسد الأمة .. وقد واجهت كل الأمم لحظات قاسية من هذا النوع .. وما من قائد عسكري كبير أو صغير كان النصر حليفه على الدوام .. وما من زعيم أو قائد سياسي الا وذاق مرارة الهزيمة في لحظة من لحظات حياته .. ولو لمرة واحدة .. حتى الأنبياء والرسل عاشوا مثل هذه اللحظات الصعبة والمرة.. وربما كانت أصعب اللحظات مرارة في قلب هؤلاء القواد والزعماء هي إدراكهم المكثف لمشاعر التشفي والتشهير في

معسكر الأعداء من جانب .. ومشاعر اللوم والتأنيب في معسكر الأصدقاء من الجانب الآخر ..
لكن ذلك كله جزء من الدراما الأنسانية المفعمة بالنصر والهزيمة .. بالأفراح والأحزان .. بالصعود والإنكسار ..
وستبقى حرب عام 1967 مفعمة بكل هذه المشاعر والأحاسيس .. مشاعر منها ماهو نبيل ومتعال .. ومنها ماهو وضيع ودنئ
وبين النبل والوضاعة .. بين التعالي والدناءة .. يختار البشر مواقفهم !!
و علينا نحن أيضا أن نختار !!

××××

الدكتور صفوت حاتم
القاهرة
٢٠١٠/٦/٨

ألغاز وأسرار نكسة يونيو ١٩٦٧

«١»

- العناوين : الشماتة السعودية في هزيمة مصر
- اسرائيل تدفع ثمن نصرها في حرب ١٩٦٧
- تأثير حرب ٦٧ على العرب واسرائيل بعد أربعين عاما

وقع في يدي .. بالصدفة.. كتاب ضخم صدر حديثا ذو غلاف فخم بعنوان " ستة أيام من الحرب " .. لكاتب " يهودي " اسمه " ميشيل . ب . اورين " صادر عن مطبعة مكتبة جامعة " أوكسفورد " .. وهو كتاب يقدم " الرواية الإسرائيلية الرسمية " عن حرب عام ١٩٦٧ .. أي الحرب بعيون صهيونية .

وقام بترجمة وطبع هذا الكتاب الفاخر عام ٢٠٠٥ .. مكتبة سعودية تسمى " مكتبة العبيكان " ؟!!

وهي دار نشر سعودية كبيرة .. فقد ذيل تصدير الغلاف الداخلي تعبير : " فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر " !!

(Michael B. OREN، Six days of War ، Oxford university Press، Ine U.S.A)

وأدهشني جدا أن تبويب الكتاب من الغلاف الأمامي حتى الغلاف الخلفي وقد أهدى المؤلف .. وهو باحث إسرائيلي كتابه الى زوجته " سالي " ولأطفاله : يواف وليا ونعوم ..

وتلى صفحة " الأهداء " صفحة أخرى .. لفت نظري فيهما مقتطفين تتصدرهما أية من آيات القرآن الكريم .. نصها كالآتي :

" فكلا أخذنا بذنبه .. فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا .. ومنهم من أخذته الصيحة .. ومنهم من خسفنا به الأرض .. ومنهم من أغرقنا .. وماكان الله ليظلمهم .. ولكن كانوا أنفسهم يظلمون " (سورة العنكبوت : ٤٠)

وتحت هذه الآية مباشرة يأتي المقتطف الثاني :

" قبائل تهدر كهدير مياه كثيرة ولكنه ينتهرها فتهرب بعيدا وتطرد كعاصفة الجبال أمام الريح وكالجل أمام الزوبعة " (العهد القديم / أشعيا / الإصحاح ١٧ / الآية ٣)

و أتصور أنه أمر عادي أن يضع المؤلف الأسرائيلي آيات من العهد القديم فهو مؤلف يهودي إسرائيلي .. ولكني لا أتصور أنه هو الذي كان وراء وضع الاية المذكورة من القرآن الكريم على نسخة كتابه المترجم للغة العربية .. وهو مالا يدع مجالا للشك

أنها من وضع ناشري الكتاب " السعوديين !!

مالذي يدفع دار نشر سعودية أن تنشر كتابا لمؤلف إسرائيلي ؟!!

ولماذا صدرت ترجمة الكتاب بهذه الاية من آيات القرآن الكريم ؟ !! ومن المقصود بالآية في كتاب إسرائيلي يروي وقائع النصر الإسرائيلي على العرب عام ١٩٦٧ .. وبشكل خاص هزيمة مصر وجمال عبد الناصر .. المناوئ الرئيسي للنفوذ السعودي في المنطقة ؟

هل نحن هنا أمام عملية تصفية حساب واضحة بين النظام السعودي وخصمه اللدود جمال عبد الناصر ؟ والآية الكريمة التي وضعها الناشرون السعوديون لا تترك مجالا للشك أنهم يقصدون عبد الناصر الذي كانت الهزيمة العسكرية عام ١٩٦٧ عقابا له : " فأخذ بذنبه خسفا وإغراقا .. بظلمه لنفسه " كما تقول الآية الكريمة ؟!!

ثم تمادي ناشرو الكتاب في سوء النية وفي الشماتة..

وقدر لهم " سوء النية " أن يفضحوا أنفسهم .. فقد حملت الصفحة الخلفية للغلاف الفاخر .. وكما هي العادة للترويج للكتب أن يذكر تعليقات بعض الشخصيات الشهيرة على محتوى الكتاب أو ملفه .. إطراء من .. وكان أول إطراء مثير للدهشة .. يقول :

" لا تزال أثار حرب الأيام الستة على إسرائيل وجيرانها ماثلة في الأحداث الجارية الآن في الشرق الأوسط . كتب السيد ميشيل . ب . أورين تفاصيل وصور الأحداث الدامية لتلك الحقبة . إنها خطوة إيجابية لفهم الصراع القومي وتاريخ المنطقة ، وبهذا الفهم نستطيع توفير السلام في الشرق الأوسط . " (إيهود باراك – رئيس وزراء إسرائيل وقائد الجيش الإسرائيلي)

وهكذا بضربة واحدة افصحت دار النشر السعودية عن نفسها .. وعن من وراءها .. وان الكتاب الذي ترجمته ونشرته الدار السعودية .. يلقى إعجاب قادة الكيان الصهيوني – وأولهم ورئيس وزراءه وقائد جيشه " أيهود باراك " !!!

وقد يكون هذا طبيعي من قادة العدو الصهيوني .. لكن ما مصلحة السعوديين في ترجمة ونشر هذا الكتاب " الصهيوني " الفاخر ؟؟ !!

هل نقول : تصفية حسابات التاريخ القديمة ؟

ممكن جدا !!

هل نقول : تحالف المصالح الجديدة بين النظام السعودي وإسرائيل في مواجهة عدو قديم هو مصر .. تحالف يستهدف دورها وتاريخها وحاضرها ومستقبلها ؟

ممكن جدا !!!

ان التوظيف السياسي " للهزيمة " من خصوم عبد الناصر – من اليسار واليمين وبشكل خاص التيارات الإسلامية – لعب دورا كبيرا في " تهويل " الهزيمة ونتائجها .. بغرض تصفية الحسابات السياسية والأيديولوجية مع عبد الناصر شخصيا وعصره

٣- وعلى الجانب العربي - وبعد أربعين عاما - خرجت مؤلفات كثيرة في تحليل هذه الهزيمة وأسبابها .. وجاءت مذكرات رجال الحقبة الناصرية ، من العسكريين و المدنيين ، لتضفي جوانب جديدة ومتعددة لأسباب الهزيمة والمسئولين عنها مسئولية مباشرة .

ويعود الفضل في معظمه - فيما أعتقد - للأستاذ " محمد حسنين هيكل " الذي كان سباقا في نشر بعض هذه الوثائق العربية و " الإسرائيلية " وإطلاع القارئ العربي عليها في مقالاته التي كان ينشرها شهريا بمجلة " الكتب وجهات نظر " والتي تصدر تحت عنوان رئيسي " كلام في السياسة " .. وذلك قبل أن يتم ترجمة أصول هذه المؤلفات الى اللغة العربية

فما بين الطبعة الأولى لكتابه " الإنفجار ، حرب ١٩٦٧ " والتي نشرت عام ١٩٩٠ ، ومقالاته التي نشرت مجمعة عامي ٢٠٠١ و٢٠٠٢ في كتابه " عام من الأزمات ٢٠٠٠-٢٠٠١ " ، مر أكثر من عشر سنوات ، نجح " محمد حسنين هيكل " خلالها في الكشف عن الأدوار الحقيقية التي لعبتها شخصيات مهمة على الساحة السياسية العربية خلال تلك الحقبة .

المدهش أن الرواية " العربية " للحرب تظل ناقصة وغامضة لعدم الكشف عن " الوثائق الرسمية " .. رغم أن معظم أبطال هذه الحقبة قد غيبهم الموت ولم يبق منهم الا حفنة عاشت وعاصرت الحرب .. وكتبت مذكراتها ..

وتكاد أن تكون " الرواية المصرية " للحرب شبه كاملة من خلال كتابات ومذكرات رجال الحقبة الناصرية – عسكريين ومدنيين – لكن تبقى " الرواية السورية " غامضة .. فلا نعرف لقادة هذه المرحلة من السوريين أي مذكرات او كتابات عن ماعاشوه وعاصروه من وقائع ..

وينطبق نفس الشيئ على " الرواية الأردنية " .. التي لا يمكن الإعتماد فيها الا على مذكرات " الملك حسين " .. وهي رواية رسمية لا يمكن الإعتماد عليها كلية .

ملاحظة أخيرة : ان ثقة أي أمة في نفسها وفي تاريخها يظهر من طريقة تعاملها مع تاريخها وسياسييها .

ورغم كثرة الكتب والمذكرات والمقالات والوثائق التي تناولت حرب ١٩٦٧ .. فأننا نشعر أن الأجيال الشابة تعاني حملة تضليل مقصودة .. فكثير من الروايات العربية عن الحرب بها قدر كبير من التشويه والتضليل .. وهو أمر لن يساعد .. قطعا .. على تجاوز " عقلية الهزيمة " أو العقلية التي أدت بنا الى الهزيمة .

فرغم أن مصر قد خسرت الغالبية العظمى من قواتها يومي ٥ و ٦ يونيو ١٩٦٧ .. ألا انها تماسكت بسرعة ملفتة للنظر .. وكان من ابرز هذه المواقف معركة " رأس العش " التي دارت بعد ثلاث أسابيع فقط من كارثة الهزيمة .. ثم تلتها الهجمات التي شنتها القوات الجوية ضد المواقع الإسرائيلية بعد أسبوعين فقط (!!) ..

وأخيرا إغراق المدمرة " إيلات " في مياه بورسعيد بعد أربعة شهور فقط من الهزيمة .

ومنذ حرب الإستنزاف وحتى هذه اللحظة لم تتمتع إسرائيل بأي نصر عسكري على العرب .. ورغم ذلك تشيع روح إنهزامية لدينا نحن العرب .. تقف وراءه قوى دولية ومحلية متصهينة ..

وهكذا شهد العالم العربي أغرب ظاهرة : أن تنكسر إسرائيل في كل حروبها العسكرية منذ حرب الإستنزاف .. ورغم ذلك تفرض علينا معاهداتها وشروطها وإذلالها لحكامنا .

لكل هذا .. وغيره .. أهدي هذا الكتاب الى الشباب العربي الباحث عن الحقيقة .. الشباب المستعد لدفع ثمن الحقيقة : تعبا ومعاناة وألما ..

حتى لا تضيع الحقيقة .. وحتى لا يضيع المستقبل .. وحتى يكون ثمن الدم عادلا !!

××××

« ٢ »

ضرورة الحرب

يقول المؤرخ العسكري الشهير " كلاوز فيتز " الحرب هي إختبار لجميع قوى الأمة من إقتصادية وتنظيمية "
١- عندما تنهزم كتلة بشرية تعدادها أكثر من مائة مليون أمام كتلة أخرة تعدادها حوالي مليونين ونصف .. فينبغي ألا نقف عند حدود مايمكن تسميته بالخطأ أو القدر أو المؤامرة " الإمبريالية " .. على الرغم من وجود مثل هذه العناصر في أي صراع بشري .. سياسي كان أو عسكري .

لذلك لا يمكن النظر لهزيمة يونيو حزيران ١٩٦٧ بإعتبارها مجرد هزيمة عسكرية لجيوش عربية في لحظة من لحظات التاريخ .. فالحرب – أي حرب – كانت اختبار حقيقي لقدرة المجتمع العربي على الخروج من حالة التخلف التاريخي الذي يرسف في أغلاله من قرون طويلة .. لقد كانت الهزيمة هي أول تحدي للمجتمع العربي المستقل حديثا والخارج من كابوس الإستعمار والإحتلال ..

كانت الهزيمة – في جوهرها – اعمق اختبار للمجتمع العربي التقليدي القبلي الأقطاعي – شبه المدني أو المدني المتريف – القائم على سيادة العلاقات الشخصية والعائلية والقبلية والقطرية .. كلها في آن واحد ..

فقد كشفت الهزيمة عن هشاشة الدولة العصرية القائمة والتي تحاول تشييدها نخب الإستقلال التي كانت أنجزت بنجاح ملحوض مهمة الإستقلال الوطني وتحرير الوطن من الجيوش الأجنبية .. ولكنها بقت على أعتاب بناء دولة المؤسسات والقانون والكفاءة الموضوعية .. أو على الأقل .. التقدم بإتجاه هذه القيم الحديثة .. قيم الثورة على التخلف والمحسوبية والعواطف والإنفعالات ..

لقد وقعت حرب يونيو حزيران على العقل العربي العربي " كالزلزال " .. وتركت توابع هذه الهزيمة الكارثية نفس الأثر الذي تتركه الزلازل والكوارث الطبيعية على الذهن البشري من ذهول وتشتت عقلي .. ذهول قد يستمر لفترات تطول أو تقصر – بقدر ماتختزن الطاقة البشرية من قدرات على تجاوز الأنكسار واستجماع طاقات المقاومة والبقاء .

٢ – ورغم مرور سنوات طويلة على هذه الحرب ، إلا أنها تحتل مساحة متجددة من الإهتمام في الفكر السياسي العربي .. ولازالت رؤيتنا لوقائع هذه الهزيمة متجددة بفعل ظهور وثائق ووقائع جديدة لم تكن في حسابتنا .

ان الرواية الحقيقية لظروف لحرب ١٩٦٧ تستقطب اهتماما أوسع من الإهتمام الذي تستحوذه وقائع حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ . وزاوية الرؤية في الأولى – أي حرب يونيو ١٩٦٧ – هي زاوية سياسية وتاريخية قبل أن تكون زاوية عسكرية . وكثيرا ما كانت تصادفني دراسات ومذكرات لسياسيين وخبراء عسكريين.. عرب وغربيين .. يتناولون هذه الحرب بطرق مختلفة حسب مصالحهم وأهوائهم وأدوارهم وقت صناعة الحدث .

فالبعض وجد في إنعدام الديمقراطية سببا للهزيمة .. بينما أرجعها البعض لأسباب طبقية محضة تتمثل في عدم راديكالية وجذرية النظام الناصري .. وشاع في الأدبيات اليسارية تعبير " البورجوازية الصغيرة " ..

لقد وجد البعض في هذا التعبير ضالته .. لتفسير كل ظواهر العالم العربي .. إنكساراته المؤلمة .. ونجاحاته المؤقتة .. بينما وجد الآخرون ضالتهم في تعبير براق جديد : البيروقراطية العسكرية !!
وأخيرا .. ظهرت دراسة أكاديمية لباحثة من مصر تفسر الهزيمة بغياب المعلومات مما أدى الى الفشل التام التعامل مع الأزمة (نكسة ٦٧ ، مصر ومعضلة المعلومات ، نورا محمد ماهر) .
ولكن بعد أربعين عاما من حرب عام ١٩٦٧ أين نقف نحن العرب وأين تقف إسرائيل ؟
كيف تنظر إسرائيل لهذه الحرب بعد أربعين عاما ؟
٣ - أفرجت إسرائيل عن بعض وثائقها المتعلقة بحروب ١٩٤٨ و ١٩٦٧ ، وقد حدث في السنتين الأخيرتين (٢٠٠٧- ٢٠٠٨) .. ونشرت - في نفس الحقبة تقريبا - عدة كتب " إسرائيلية " تشير الى هذه الوثائق بطريقة أو بأخرى .
وقد حوت هذه الوثائق الإسرائيلية على مفاتيح بعض " الألغاز " المتعلقة بهذه الحرب .
٥ - ثم كانت المفاجأة الثانية .. فقد نشرت المجلة الشهرية " مختارات إسرائيلية " .. وهي مجلة متخصصة في الدراسات الإسرائيلية .. في عددها ١٥١ الصادر في يوليو / تموز ٢٠٠٧ .. مجموعة من المقالات لعدد من الكتاب الإسرائيليين في الذكرى الأربعين لحرب يونيو جزيران ١٩٦٧ .. وقد أدهشني ما كتبه المثقفون الإسرائيليون عن تأثير هذه الحرب على المجتمع الإسرائيلي بعد مرور كل هذا الزمن ..
وربما يكون من المفيد - في بداية هذا الكتاب - أن أقتطف بعض من هذه المقالات " الإسرائيلية للتدليل على مدى تأثر المجتمع الإسرائيلي ذاته بهذه الحرب .. الحرب التي أعتبرها قادة إسرائيل - آنذاك - بداية الإنطلاق في المشروع التوسعي الصهيوني ..

يونيو ١٩٦٧ .. مصدر كل الشرور !!

فقد كتبت " شالوميت آلوني (وهي وزيرة سابقة وعضو بالكنيست) تقول " تحت عنوان : " مصدر كل الشرور " (والعنوان له إيحاءات شديدة) :
" لم يكن بالإمكان منع وقوع حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ حيث أغلق الرئيس المصري مضايق تيران وأبعد القوة الدولية من سيناء وأدخل الجيش المصري شبه جزيرة سيناء .. بينما وقفت الولايات المتحدة والإتحاد السوفييتي (سابقا) موقف المتفرج ولم يتدخلا . كل هذه الامور دفعت الجمهور الإسرائيلي للأحساس بالعزلة والهلع والدمار . وفور انتهاء اليوم الأول للمعارك .. تخلص الجمهور الإسرائيلي فجأة من حالة التوتر النفسي والتأهب والخوف .. كما يندفع السهم من القوس .. وفي ٥ يونيو بعد أن دمر سلاح الجو الإسرائيلي طائرات العدو .. صاح " عيزرا فايتسمان " .. الذي كان آنذاك قائد شعبة العمليات بالجيش الإسرائيلي : لقد إنتصرنا !! ... وقد أدى التحول النفسي في الوعي العام .. من حالة الهلع من الدمار .. الى السيطرة على أرض إسرائيل الكبرى وعلى سيناء وعلى مرتفعات الجولان .. والى احياء الأساطير التي حملها الشعب اليهودي لآلا ف السنين وتحكي عن قدوم المخلص .. وقد كانت لغة الحوار المتبادل في الشارع الإسرائيلي تتركز على مقولات من قبيل : هاهي بداية أيام الخلاص .. !! لقد تحقق الوعد الآلهي لأبينا إبراهيم .. !!
ولكن المشاكل السياسية بدأت بعد نشوة النصر الأولى .. بعد التكالب على الأماكن المحتلة من أجل مشاهدتها والتعرف عليها وتملكها .. فنحن بصدد "الأحتلال " .. ان الغطرسة والتعالي أصابا الفكر بالشلل .. وقد إنفعل " موشيه ديان " الرجل القوي والمبجل ومحب التوراة آنذاك وأثر على الجميع في اسرائيل بقوله : لقد عدنا الى بيت الرب والى " عناتوت " (موطن النبي آرميا) .
بينما صرخ آخرون : أننا عدنا لمدينة الاباء في الخليل ولقبر الأم راحيل في بيت لحم .

محتلون: ورعون ومنافقون !!

ثم تضيف " شالوميت آلوني قائلة " : دون الخوض في الحديث عن التطورات التاريخية لمعاملتنا للفلسطينيين ولأطماعنا في الأراضي المحتلة .. فإن الحقيقة هي أننا تحولنا الى شعب إحتلالي .. وغرسنا في الأذهان النعرة القومية المتعالية والإستخفاف بالأطفال الذين حولناهم في السنوات الأولى للأحتلال الى سكان هضاب وحطابين وسقاة ومنظفي اواني ودورات مياه وقائمين بأي عمل أسود وقذر مقابل أجر ضئيل وفي ظل غياب ظروف اجتماعية ملائمة . ومن أجل توسيع سيطرتنا على المناطق الفلسطينية أخترعنا مقولة " أراضي الدولة " الزائفة .. كما لو كانت ملكا لنا حقا .. لنا نحن المحتلين .. وليس للشعب الذي يعيش عليها تحت نير الإحتلال .. كما ينص القانون الدولي .. بل قمنا بالإستغلال التعسفي والجشع لقوانين الطوارئ الصادرة

في عصر الإنتداب البريطاني عام ١٩٤٥ بهدف مصادرة المزيد من اللآراضي لصالح المستعمرين ..
خلاصة القول : أن الاحتلال سبب لنا انهيارا أخلاقيا ودعم المنظمات المظلمة (الشاباك والموساد وغيرهما) وأفرز عبادة القوة وسياسة الخداع والجحود وذلك من أجل أخفاء حجم الجشع والإستثمارات الاسرائيلية في المستعمرات في المناطق الفلسطينية المحتلة عن أعين العالم .. وبالتوازي مع ذلك .. جاء الانهيار الأخلاقي للجهاز القضائي الذي سمح بالعقاب الجماعي ، والهدم الجماعي لمنازل الفلسطنيين وطرد عائلات كاملة .. لقد أكثرنا من قتل المشبوهين بلا أدلة ولا محاكمة .. ومن الإغتيالات الجوية للمطلوبين الفلسطنيين ومن قتل السكان المدنيين .. الأطفال والمسنين .. لقد قمنا بتنمية الإحساس بالإستقواء المغلف بالنفاق عن طريق الإستعانة بيهود الولايات المتحدة .. وبالعلاقات العامة والضرب على وتر مشاعر الإتهام تجاهنا من قبل العالم المسيحي .. كما لو أننا الضحية المطاردة كما كنا في الماضي .. لقد رسخنا لدى العالم الإعتقاد بأننا الضعفاء والمعرضون للهجوم واننا نستحق حدود آمنة وسلام .. بينما نحن نصادر المزيد من أراضي الفلسطنيين وأملاكهم ومصادر مياهم .

الأيدي الملطخة بالدم !!

وتضيف " آلوني " في مقالتها في الذكري الأربعين لحرب يونيو / حزيران ١٩٦٧ بقولها :
" لقد كنا نرغب في إقامة مجتمع مثالي هنا .. ودولة مدنية ديمقراطية بموجب ميثاق الإستقلال .. ولكننا في الواقع أقمنا جماعة كبيرة تنتمي لليهودية الدينية وتعيش على حسابنا ومعادية للديمقراطية " جمهور متعصب أرثوذكسي " متمرد على قوانين الدولة يسيئ معاملة الأطفال الفلسطينيين .. اناس خارجون على القانون يقررون مصيرهم بأنفسهم .. عنصريون ويبثون الرعب في كافة أعضاء الحكومة في إسرائيل .. نحن نعتقل ونسجن ونخطف مئات الفلسطنيين بحجة أن أيديهم ملطخة بالدماء .. في حين لا نرى أيادينا نحن الملطخة بالدماء .. وفي ضوء كل الأغتيالات الجوية والبرية .. وكل أعمال القتل على أيدي الوحدات الخاصة واستخدام القنابل العنقودية .. فإن أيدي كل رئيس أركان إسرائيلي وكل ضابط وجندي يخدم في الجيش ملطخة بالدم .. يكفي عقد مقارنة بين عدد القتلى اليهود والفلسطينيين في الانتفاضة الاولى وكذلك الثانية .. حتى نرى مدى كوننا قتلة !!
وتختم " شالوميت آلوني " مقالها بالقول :
ماحدث لنا منذ الانتصار العظيم في عام ١٩٦٧ هو انحلال تربوي واستخفاف بالتعليم العالي والعلوم وخصخصة الأملاك العامة وبيعها بثمن زهيد لأصحاب رؤوس الأموال وتنصل الحكومة من أداء واجبها تجاه المستشفيات والسجون ورعاية المسنين والتنمية الثقافية والإجتماعية المدنية المناسبة .. الخ وبدلا من ذلك انتشرت ظواهر تأليه الجيش وحب المال والإستسلام للأصوليين المستعمرين .. الذين لا يختلفون عن أي جماعة أصولية إسلامية كمجتمع مستنير وديمقراطي ومثقف يعيش في سلام مع جيرانه " (مختارات إسرائيلية .. مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام .. العدد ١٥١ يوليو/ تموز ٢٠٠٧)
.

اربعون عاما كارثية !!

أما " ران كوهين " فيكتب في معاريف تحت عنوان " سنوات الإفساد " : " من يعرف ويتذكر إسرائيل قبل عام ١٩٦٧ .. سيفرك عينيه بذهول وهو يتذكر هذه الأيام .. فقط ١٩ عاما عشناها آنذاك صغارا (يقصد من ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٦٧) كنا عادلين وصالحين (الكاتب ينسى جرائم ماقبل وبعد انشاء الدولة عام ١٩٤٨ !!) ولكنه يضيف : " كنا عادلين وصالحين .. وهاقد مرت أربعون عاما ونحن نشعر بأننا لا نعرف إسرائيل السابقة .. لقد خلفت حرب الأيام الستة .. التي بدأت كحرب دفاعية بإمتياز .. وراءها نتائج وتداعيات أخذت في التضخم والتعقد .. وكانت نهايتها مدمرة لإسرائيل أكثر من اي حدث تاريخي آخر منذ إقامتها .. الإحتلال الذي أعقب الحرب .. وبناء المستعمرات بوجه خاص .. أنهما الأمران اللذان دمرا المجتمع الإسرائيلي ..
ويختم " ران كوهين " مقاله بهذا العنوان قائلا : " فوق كل هذا .. تمثل المستعمرات حجر العثرة الرئيسي أمام الخروج من الأزمة في الأربعين عاما الماضية .. حيث خلقت المستعمرات .. خاصة طريقة بنائها .. التي كانت قائمة على إستقواء حركة " جوش أمونيم " .. ومكر وخداع كل الهيئات القانونية وغض الطرف من جانبها .. فخلقت واقعا مشوها وشجعت التطرف المهووس والحالم الذي أبرز بذور شرور مرضية جديدة تباعا .. ومن بينها التنظيم السري االيهودي وتوابعه .. وكذلك المسئولية عن خلق المناخ الذي أدى ألى إغتيال رابين ،اثبت أن من الممكن بضغطة واحدة على الزناد إسقاط حكومة منتخبة وتغييير مسارها .. لقد خلق واقع المستعمرات الآخذة في الترسخ أيضا وضعا يتكون من دولتين داخل دولة واحدة : دولة " المستعمرات " وفيها هيئة رفاه إجتماعي نشطة وقادرة ماديا وخدمات عامة لكل من يطلب (من اليهود بالطبع) وشبكة تشغيل وإسكان ودعم جماهيريوزمنح وإمتيازات .. وعلى الناحية الأخرى دولة " إسرائيل " التي بداخل الخط الأخضر الآخذة في " نحر " نفسها بالخصخصة

والتنازل عن كل ثراوتها وخدماتها العامة وتعمل على تدهور وضع سكانها ومواطنيها ..
وثمة نتيجة مدمرة أخرى للأحتلال .. هي تشجيع التطرف الآخذ في الإزدياد بين الجمهور الفلسطيني والشعوب العربية .. فالأحتلال هو الذي أتى بحماس والجهاد الإسلامي وحزب الله .. وأدى ألى تطرف بالغ في مواقفهم وعنفهم .. إذن ٤٠ عاما من الأحتلال هي ٤٠ عاما كارثية على إسرائيل التي تستطيع فقط أن تحن إلى ال ١٩ سنة الخاصة بإسرائيل الصغيرة التي كانت أكثر يهودية وديموقراطية . " (مختارات إسرائيلية ، مصدر سابق ،)
هل كان يضع الذين خططوا لحرب ١٩٦٧ يتوقعون " كل هذه الشرور " ؟
لا أظن ...
قد يعترض البعض قائلا : ان الموقف مختلف على الجبهتين : جبهة المنتصر وجبهة المهزوم .. فلقد خسرنا في الحرب أراضي عربية شاسعة .. ودفعنا ثمن الهزيمة من كرامتنا ..
وبالتالي فمشاعر المهزوم تفوق في جرحها والآمها مشاعر المنتصر .
لكن خارج نطاق المشاعر والعواطف : هل يمكن لمؤرخ أو باحث في وقائع هذه الحرب أن يغمض عينيه عما حدث قبلها وبعدها من تداعيات .. وما أحدثته من نتائج قصيرة الأمد وبعيدة المدى ؟

ليس هكذا يبنون جيشا !!

ان كاتبا إسرائيليا آخر هو " أماتسيا حين " العقيد بالإحتياط سيعبر عن نفس المعاني التي عبرت شالوميت آلوني " وران كوهين " ، في مقاله في افتتاحية " يديعوت " يوم ٩/١٧ / ٢٠٠٧ بعد هزيمة إسرائيل في حرب لبنان أمام حزب الله ، حيث نراه يقول : سنراه يقول تحت عنوان " ليس هكذا يبنون جيشا " :
اذا كنتم تريدون فهم سبب ضعف الجيش الاسرائيلي في حرب لبنان الثانية فعليكم أن تعودوا بنظركم اربعة عقود الى الوراء، وصولا الى حرب الايام الستة ١٩٦٧.
من هناك بدأ الجيش الاسرائيلي بالانزلاق في منحدر أملس. من جيش مكون من كل ما تقع عليه اليد في حرب الاستقلال وصل الجيش الاسرائيلي في حزيران ١٩٦٧ الى مستوى الجهاز المنظم في صورة الجيش الحقيقي. ولكن المزيج الهدام من استغلال الانتصار لأهداف سياسية وشخصية، وقياسه بناءا على محك ومعيار النتيجة، طمس الطابع المتهاوي في أداء الجيش في الحرب وحال دون استخلاص العبر حينئذ.
الانتصار في حرب حزيران ١٩٦٧ شوش عقل الأمة بأكملها، حيث لم تدرك أن وتد الثقافة الفرعية الادارية والقيمية قد دُق حينئذ وأخذ يؤثر على نشاط الجيش المتواصل حتى يومنا هذا.
لهذا لم يكن عبثا أن أحداثا خطيرة قد جرت بعد الحرب مثل فشل معركة الكرامة، قد اعتبرت خللا موقعيا عابرا.
البرهنة على هيمنة ما تحت – الثقافة هذا جاءت من خلال لجنة اغرانات التي حققت في أحداث حرب يوم الغفران ١٩٧٣. اعضاء هذه اللجنة ركزوا استخلاصاتهم على "فشل النظرية" وحرفوا أنظارهم عن العامل الحقيقي: تجاهل قادة الجيش للحاجة الى اعداده للحرب "الدفاعية".
عندما اندلعت حرب يوم الغفران فوجيء الجيش بعدم جاهزيته على ادارة الدفاع وفقد توازنه الامر الذي تمخض عن آلاف القتلى والجرحى.
لو كان رئيس هيئة الاركان حينئذ، دافيد اليعيزر، يمتلك الفهم المهني لأوضح لغولدا مئير عندما رُفض مطلبه بتوجيه ضربة مسبقة لاعتبارات سياسية، بأن الجيش غير جاهز للدفاع، ولذلك ربما كان سيتسبب في تغيير قرار رئيس الوزراء وتغيير نتائج الحرب كليا.
رغم الثمن الفظيع الذي تسببت به تلك الحرب، إلا أنه لم يكن كافيا لاستخلاص العبر من ذلك.
بدلا من تعلم الدروس الحقيقية صرفت اسرائيل مبالغ ضخمة على "اعادة بناء الجيش" – كلها انطلاقا من الشعور الباطني العاطفي ووفقا لتعليمات رئيس هيئة الاركان آنذاك موطا غور الذي فرض عليهم تجاهل الماضي (استخلاص العبر) وفتح صفحة جديدة. هذه الخطوة كانت مدمرة للجيش في دولة واقعة تحت الحصار.
هذا السبب وراء عودة نواقص حرب يوم الغفران بقوة أكبر بعد ثماني سنوات في حرب سلامة الجليل. (يقصد غزو لبنان عام ١٩٨٢) وهكذا يستمر المسلسل الذي يقوم كله على المشاعر الباطنية كبديل للدروس والعبر الحقيقية المستفادة الأمر الذي تمخض عن تكرار الاخفاقات في حرب لبنان الثانية والدليل على ذلك: الطريقة التي يتصرف بها الجيش بعد الهزيمة في الحرب الأخيرة.
المعركة تتمركز حول التحقيقات المثيرة للاهتمام والتي تهدف الى استيضاح ما حدث متجاهلة القضية الأهم بالفعل: لماذا حدث ذلك. على سبيل المثال في عملية التحقيق فيما حدث، اتضح انه لم تجرِ تدريبات بالدرجة الكافية عشية شن الحرب الاخيرة،

الامر الذي أدى الى مضاعفة كمية التدريبات.
الحقائق من حروب الماضي تشير الى عكس ذلك بالضبط: في تلك الحروب كانت التدريبات قبل الحرب كبيرة، ولكن الفشل لم يكن متجسدا بكمية التدريبات وانما بطريقتها وبتقدير قوات الجيش الميدانية.
الدليل على الفشل في تقدير القدرات يفوق كل مفارقات القرارات السياسية التي ألزمت قبول تقديرات وتقييمات المستوى العسكري. الجيش ضلل المستوى السياسي فيها كلها: ديان في عملية قاديش ورابين في حرب حزيران ودادو في حرب يوم الغفران ورفول في حرب سلامة الجليل، وموفاز في الانسحاب الذي تحول الى فرار من لبنان وحلوتس الذي شوشت معطياته عقل الحكومة وعقله في الحرب الاخيرة.
أنا أوصي المواطن بأن يعترف بحقيقة انه لم يكن لاسرائيل أبدا جيش حقيقي.

هذه الحقيقة غابت عن أنظار الجمهور بسبب عمليات الوحدات الخاصة النوعية والأذرع العليا والتكنولوجية المذهلة.
ولكن في كل الحروب برزت اخفاقات الجمع بين الذراع الجوية والقوات البرية والفشل ايضا بين الأذرع المختلفة من استخبارات وتكتيكات مختلة وأداء سيء للمنظومة اللوجستية.
الفشل في التنسيق والجمع بين الأذرع المختلفة بالتناسب الصحيح في المكان والزمان هو برهان على كون هذه الأذرع أجساما منفصلة خلافا للغاية منها – جيش حقيقي بكل معنى الكلمة.
(يديعوت – مقال افتتاحي - ٢٠٠٧/٩/١٧ ، ليس هكذا يبنون جيشا ، بقلم: أماتسيا حين ، عقيد في الاحتياط)
وهل يحق لنا – نحن المهزومون - أن نتجاهل – ببساطة - مشاعر - كتلك التي عبرت عنها عميقا " شالوميت آلوني " و " ران كوهين " ؟
وهل يمكن أنكار ان مثل هذه المشاعر تتماثل مع مشاعر أعداد ليست بالقليلة من أفراد النخبة الإسرائيلية؟ هل يمكن التغاضي عن الشحنة العاطفية القوية بالبلاغة اللفظية التي عبرت بها " شالوميت آلوني " عن ازمة مجتمعها بعد كل هذه الأعوام من " الإنتصار " العسكري في الحرب ؟
انه " الإنتصار " .. وأي إنتصار ؟!!
إنتصار تظلله وتحصره حدوده التاريخية !!
انه حساب متأخر لفاتورة الحرب .. وبعد أربعين عاما !!

xxxxx

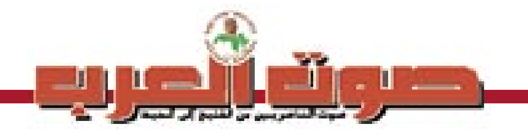
« ٣ »

كيف ولدت زعامة عبد الناصر في معركة السويس؟

قائد القومية العربية هو اشهر محرض ثوري في التاريخ العربي
تقارير المخابرات المصرية حذرت عبد الناصر من الوحدة الاندماجية مع سوريا.
صعود زعامة عبد الناصر قوميا اخافت الشرق وارعبت الغرب،فكان ضربه ضروريا

العالم العربي عشية عدوان ١٩٦٧

٦- إن نظرة سطحية على الواقع العربي قبل العدوان العسكري في ١٩٦٧ تكشف فورا عن المناخ الذي كان يحيط بالمشروع الناصري وعلى إمكانياته الفعلية في التحرك الطليق والمناورة المتحررة من الضغوط الإقليمية والدولية .
ان عبد الناصر الذي خرج من عدوان ١٩٥٦ بطلا شعبيا عربيا .. إكتشف ومن خلال هذا العدوان محدودية مشروعه الثوري طالما ظل محصورا بالحدود المصرية دونما التحام بالجماهير العربية التواقة للخلاص من أسر التخلف التاريخي الذي تعيش فيه بفضل الإستعمار الطويل والنخب الحاكمة المتعاونة معه ..
ان دراسة واعية لقدرات عبد الناصر التكتيكية خلال أزمة السويس .. تلك التي قدمها ببراعة " محمد حسنين هيكل " في كتابه " ملفات السويس " .. تظهر الى حد كبير - ومفاجئ - تفجر الوعي العربي بالدور المصري على نحو صارخ .. وبالمقابل .. تفجر الوعي المصري - على نحو صاعق - بالإمكانيات الهائلة التي يختزنها المحيط العربي لتفعيل وتعظيم الدور " المصري " ..
صحيح أن عبد الناصر كان قد تكلم في عام ١٩٥٣ في " فلسفة الثورة " عن الدائرة العربية .. وصحيح أيضا أنه اختبر بشكل جزئي " ميوله العروبية " في تأييد الثورات العربية لتونس والجزائر منذ أعوام ١٩٥٤ .. لكنه قطعا .. لم يكن قد إختبر - بشكل شامل - قدراته " كمحرض ثوري " من طراز رفيع إلا مع أزمة السويس عام ١٩٥٦ .
٧ - لم يكن عبد الناصر - الوحيد - الذي إكتشف قدراته الثورية في تحريك الجماهير العربية .. لقد إكتشفت معه - وبسببه - القوى الدولية (أمريكا - والإتحاد السوفييتي أساسا) .. والقوى المحلية (إسرائيل والرجعية العربية أساسا) أن المنطقة تتحرك في اتجاه آخر جديد ..
لقد فجر هذا " المحرض الثوري " القادم من أعماق صعيد مصر الطاقات الثورية للمواطن العربي في أصقاع وربوع الوطن العربي .. في مدنه الصاخبة .. وأريافه الهادئة المستسلمة لركودها التاريخي ..
لقد غير العدوان الثلاثي كل شيئ في المنطقة .. لقد دخل العرب حقبة الحرب ككتلة عربية واحدة وليس كتل مشرزمة متهالكة



في اشباه دول ومشيخات وأمارات هشة وهزيلة ..
لقد تمخض عدوان ١٩٥٦ عن أحداث وتطورات كبيرة وكثيرة .. لكن أهمها على الآطلاق بالنسبة لمنطقتنا .. وحدة مصر وسوريا عام ١٩٥٨ .. التي ولدت وسط حالة حرب سياسية من أكبر حالات الحرب الباردة التي شهدها العالم بعد الحرب العالمية الثانية ..
لقد كانت إزمة السويس .. بإمتياز .. أيذانا بأفول قوى دولية
(أنجلترا وفرنسا) وصعود قوى جديدة (أمريكا وروسيا)
لقد كان رد فعل القوى الدولية القديمة والجديدة على الوحدة المصرية - السورية شديدا .. فقد ربطت هذه القوى فورا بين هذه الوحدة ومستقبل المنطقة ومستقبلها وجودها بالمنطقة ..
لكن الأهم كما لاحظ كثير من المفكرين الوحدويين (عصمت سيف الدولة .. نديم البيطار .. ياسين الحافظ .. ألياس مرقص .. وغيرهم) كان رد الفعل الإسرائيلي متسما بالهياج والشعور بالمأزق .. أو الحشرة التي وضعت فيها بين مصر في الجنوب وسوريا في الشمال .. لقد بدأ التفكير بعمل عسكري يفصم الوحدة الجديدة يأخذ حيزا كبيرا في الذهن الإسرائيلي .. وربما كان الإعداد العملي لتصفية " عبد الناصر " كان قد بدأ منذ اللحظة التي وجدت فيها إسرائيل نفسها " محشورة بين دولة الوحدة الجديدة بزخمها السكاني الأكبر تاثيرا في العالم العربي .. ولكن الأهم من العامل السكاني .. فمصر وسوريا مخزن للطاقات العلمية والثقافية والسياسية منذ القدم . لقد حاولت اسرائيل أختبار دولة الوحدة الجديدة عن طريق تحرشاتها بمنطقة " الحولة " في ٣١ / ٣ / ١٩٥٨ - أي بعد شهر من الوحدة فردت عليها القوات السورية والمصرية بالوسائل المتاحة بما في ذلك الطائرات التي كانت تطيرا ليلا فوق إسرائيل للتصوير بإستخدام المشاعل .. الأمر الذي أجبرها على الإعلان عن تأجيل العمل والحفر لتحويل مياه نهر الأردن (أمين هويدي ، خمسون عاما من العواصف ، ما رأيته قلته ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ص ٧١)
٨ - لقد لاحظ ياسين الحافظ - عن حق - انه لم تجر دراسة عربية واحدة عن مسألة الوحدة العربية وإسرائيل ..
لقد كتب كثيرا عن دور الرجعية العربية في تخريب الوحدة المصرية - السورية .. بشكل خاص دور المملكة العربية السعودية والمملكة الأردنية .. بالمقابل لا نجد دراسة تفصيلية عن ردود الفعل الإسرائيلية فيما يخص مسألة الوحدة العربية في عام ١٩٥٨ .. أو تلك التي حدثت قبل إجتياح العراق للكويت عام ١٩٨٩ (نشوء الإتحادات الإقليمية : مجلس التعاون العربي بين مصر والعراق والأردن واليمن .. والإتحاد المغاربي بين دول المغرب العربي .. فضلا عن إتحاد دول الخليج العربي) .
شكلت الوحدة المصرية -السورية - إذن - " رادعا " لإسرائيل - وهو ما لاحظه " ياسين الحافظ" ببراعة .
" ... فالعدوانان الإسرائيليان " " التاليان لعدوان " الحولة " الأول على الحدود السورية كانا في شباط وآذار (فبراير ومارس) عام ١٩٦٠ و قد قوبلا برد فعل مخالف لم تعودته إسرائيل - وكان لأول مرة ذا مغزى - فقد قام الجيش الأول (الجيش السوري) بعملية مضادة كانت أشد من العدوانين الإسرائيليين ..
طبعا لم تتعد الجمهورية العربية المتحدة الوليدة (أي دولة الوحدة المصرية) حدود موقف الدفاع .. ولكن إسرائيل تخلت .. كما يبدو مؤقتا .. عن موقف الهجوم والردع النشط الذي تعودت عليه قبل قيام الوحدة .. وهذا يفسر كيف أن ميزان القوى العسكري .. بين العرب واسرائيل .. أصبح متأرجحا وحساسا .. هذا التأرجح وتلك الحساسية لم ينجما بالطبع من الجمع العددي للقوة العسكرية المصرية مع القوة العسكرية السورية .. فليس من الجمع العددي من أي حساب أو وزن عسكري في أي مواجهة عسكرية جدية فيما لو بقي الجيشان يتحركان كجيشين عربيين مستقلين .. بل نجما عن تحول سببه " وحدة الجيشين المصري أو بالأحرى " إمكانية " تحرك الجيشين وعملهما كجيش واحد (ياسين الحافظ ، الهزيمة والأيديولوجية المهزومة ، دار الطليعة ، بيروت ، ص ٩٩-١٠٠)
وهي حقيقة ستثبتها حقائق التاريخ العربي فيما بعد ..
أولا حين بدت كواقعة كارثية خلال أزمة ١٩٦٧ حينما كان الجيشان .. المصري والسوري .. يعملان منفصلين .. بل متضادين خلال المعارك ومن اللحظة الأولى .. وهو ماقد نعود له تفصيلا في مواضع لاحقة .
اثبتت هذه الحقيقة نفسها - مرة ثانية - بشكل حاسم وعلى نحو " إيجابي " خلال الإعداد لحرب أكتوبر وخصوصا مراحلها الأولى وإفتتاحيتها في اليوم الأول والذي أدى الى عبور القوات المصرية لخط بارليف واسترداد الجيش السوري للجولان في الساعات الأولى للمعارك .. حتى هذه اللحظة كان الجيشان يعملان كجيش واحد .. وعانت إسرائيل للمرة الأولى معنى أن تواجه جيشا عربيا واحدا يعمل بتخطيط واحد ..
لكن لحسن حظ إسرائيل .. ولسوء حظنا .. أو لسوء تفكيرنا .. ما أن حقق السادات وحافظ الأسد أهدافهما الشخصية والقطرية المحدودة حتى عاد الجيشان يعملان كجيشين منفصلين بعد اليوم الأول من القتال .. عندها إستعادت إسرائيل زمام المبادرة مرة أخرى وبدت مرتاحة في الوضع الجديد فكسرت الهجوم المصري المتأخر لإحتلال المضايق (بعد الوقفة التعبوية) واستعدت لفتح ثغرة في الدفاعات المصرية .. وقامت - من بعد - باسترداد الجولان من السوريين .. وانتهت الحرب بنصف نصر ونصف هزيمة للمصريين والأسرائيليين وهزيمة كاملة للسوريين !!!
ان أي باحث سياسي أو عسكري لا يمكنه إنكار هذه الحقائق .. للأسف !!

٩- كانت الوحدة المصرية – السورية – إذن – تطورا غير متوقع لكل الأطراف .. فعبد الناصر الذي كان قد أدرك حجم قدراته الثورية خلال أزمة السويس عام ١٩٥٦ .. استطاع بتحقيق الوحدة المصرية السورية تفجير كل الغرائز والآمال الخفية المدفونة في الذهن العربي والساعية الى التحقق والإكتمال ودخول العصر على اسس عادلة ومحترمة من الجميع .. لقد بدا للشعب العربي في باقي الأقطار أن الدور سيأتي عليه قريبا للدخول في دولة الوحدة .

رومانسية عبد الناصر الوحدوية

ومع الوحدة المصرية السورية وصلت شعبية " عبد الناصر " الى قمتها وبشكل غير مسبوق في تاريخ العربي ..
فقد اصبح عبد الناصر – فجأة – مطالبا بتحقيق أحلام وأماني عميقة وبعيدة في الذهن العربي الشعبي .. وكأي ثوري تنتابه لحظات من " الرومانسية الثورية " تحركها ديناميكية خاصة من النجاحات الثورية وإزدياد التطلعات الشعبية ..
والثورة في أحد ابعادها " يوتوبيا " لم تتحقق بعد .. ولكن تحركها رغبات إنسانية هادفة للتحقق .. رغبات انسانية تنزع للخروج من وضع مزري ويائس الى وضع خلاق ومتجاوز لوضعية الإنحطاط والإنحلال .
وبرغم كل ما يمكن أن يقال عن عدم رغبة عبد الناصر في اتمام الوحدة مع سوريا في هذا التوقيت بالذات أو على هذا النحو ..
وبرغم كل التقارير السياسية والمخابراتية المصرية التي حذرت عبد الناصر من الوحدة مع سوريا .. فأن عبد الناصر الرومانسي الثوري والمحرض الجماهيري ما كان يمكن أن يقاوم الفرص والإمتيازات التي يقدمها له التاريخ والعصر وتؤهله لها شعبيته الآسرة .. لقد أصبح عبد الناصر أسيرا لشعبيته الكاسحة .. كانت شعبيته الثورية من ناحية .. وحيويته الثورية من ناحية أخرى تدفعان به الى مواقع هجومية مخلفا وراءه جيوب رجعية مفتوحة تستنزف جبهته الخلفية .. وفي غياب تنظيم شعبي عقائدي متماسك قادر على محاصرة قوى الثورة المضادة وتصفيتها .. ظل عبد الناصر معتمدا بشكل أساسي على رجاله من تنظيم " الضباط الأحرار " .. الذين كانوا قد إحتلوا المناصب الأساسية في الخارجية والمخابرات .. والجيش بالطبع .
وقد حذرت هذه المجموعة من الضباط عبد الناصر من عملية الوحدة مع سوريا ومخاطرها .. ويذكر السيد " أمين هويدي " في كتابه " خمسون عاما من العواصف .. ما رأيته قلته " قصة هذه المجموعة قائلا : . كانت هناك مجموعة تسمى " مجموعة العمل اليومي " برئاسة السيد " علي صبري " وعضوية السفيرين " حسين ذو الفقار صبري ومراد غالب برئاسة الجمهورية والسيد عبد القادر حاتم رئيس مصلحة الاستعلامات والسيد أمين هويدي من المخابرات العامة ".وهو الذي يقول في كتابه :
" وبعد أن تقرر الإستفتاء على الوحدة في مصر وسوريا في ٢١ فبراير ١٩٥٨ تقرر سفر أمين هويدي وشعراوي جمعة لتقصي الأحوال ومعرفة ردود على الأرض ولتقييم الأوضاع من وجهة نظر المخابرات العامة .. كانت حصيلتنا من المعلومات والملفات والوثائق كبيرة .. وكنا نرسلها يوميا الى جهازنا بالطائرة ليستقبلها مندوب في المطار ليوزعها رئيس المخابرات على المجموعة المختصة لدراستها واستكمالها بالمعلومات الموجودة من قبل لإصدار تقارير معلومات الى مراكز القرار .. وكان لدى السفارة المصرية ومكتب الملحق العسكري والملحق الاعلامي والثقافي فيض من المعلومات ... كان موضوع الوحدة موضوعا رئيسيا لمناقشات جادة في " لجنة العمل اليومي " .. ومن المفارقات أن أعضاء اللجنة كانوا يعارضون القفز بالعلاقات مع سوريا الى مستوى الوحدة الكاملة .. ماعدا السيد " علي صبري " الذي لم يفصح عن رأيه كعادته في التعامل مع كافة القضايا التي كانت تعتبر نقطة تحول (!) .. كان اعضاء اللجنة يرون ان الوحدة سوف تتجسد وقتئذ غرضا توجه له سهام المعارضين من دول الكتلة الغربية والكتلة الشرقية والأنظمة المحافظة العربية .. علاوة على عدم وجود حدود بين البلدين .. الأمر الذي يعتبر حيويا عند التصدي لأي تهديدات خارجية أو فرقعات داخلية " .
لقد أطلقت الوحدة المصرية السورية كثيرا من التداعيات الثورية في الجسم العربي الذي يعاني من ركوده التاريخي .. فبفضل هذه الوحدة – أو بسببها – تفجرت ثورة العراق في تموز ﵃ يوليو – بعد اربعة شهور فقط من اعلان دولة الوحدة في فبراير ﵃ شباط .. وعاش العالم مرة أخرى لحظة " حافة الهاوية " كما حدث مع أزمة السويس من قبل .. أو أزمة خليج الخنازير في كوبا .. من بعد .
وإنتهت المواجهة بسقوط حلف بغداد ..

الاسطول السادس في لبنان

١٠ – وواجه النفوذ الغربي في المنطقة تدهورا واضحا وموقفا شديد الحرج .. وحاولت القوى الإستعمارية وبشكل خاص الولايات المتحدة الأمريكية أن تختبر قدراتها على التدخل المباشر في مواجهة البطل الجديد البازغ في السماء العربية ..
وهكذا أرسلت الولايات المتحدة الأمريكية قوات الأسطول السادس على شواطئ بيروت .. كما دفعت بريطانيا قواتها المنقولة

جوا الى الأردن .. وكان المجال الجوي الإسرائيلي هو الطريق المفتوح الذي سلكته القوات البريطانية .. وهكذا أصبحت سوريا أو الإقليم الشمالي لدولة الوحدة محاصرا بقوات غربية أمريكية وبريطانية لحصار المشروع الناصري وإجهاض الحلم الوحدوي قبل أن يتمدد .

ولكن سياسة القوة هذه لاقت فشلا كاملا بفضل صمود الشعب العربي اولا .. وبفضل " الديناميكية الثورية " لعبد الناصر ثانيا .. كانت الأزمات التي واجهها عبد الناصر على المستوى الدولي منذ صفقة السلاح التشيكي متعددة وخطيرة .. وكانت مهاراته كلاعب وفاعل أساسي " موهوب " تتأكد يوما بعد يوم .. ولاشك أن " حماقة " خصومه التاريخية كانت تقدم له فرص مجانية للنجاح .. لكنه نجح بشكل حاسم في إفشال مشروع " إيزنهاور " .. ودحر سياسة ملئ الفراغ الأحلاف العسكرية .

وإنتصرت إرادة الشعوب ..

كان عبد الناصر ينتقل من نصر الى آخر ويحصد نتائج " ديناميكيته الثورية " : شعبية تاريخية لا تنافسها اي شعبية في التاريخ العربي الحديث .

لقد أصبح " عبد الناصر " أكبر محرض على الثورة في الواقع العربي .. التقليدي .. المحافظ ..الرجعي .. سواء في المشرق أوالمغرب العربي ..

××××××××××××××

« ٤ »

كيف كان الوضع العربي قبل أن تتحرك طائرات العدو ودباباته؟
الانفصال بين مصر وسوريا كان المسمار الاول والقوى في نعش الهزيمة
حرب صحفية بين مصر والاردن بسبب مواقف الملك حسين المشبوهة
صدام إعلامي : القاهرة تدافع عن مبدأ " الوحدة طريق تحرير فلسطين "،
و دمشق ترفع مبدأ " تحرير فلسطين طريقا للوحدة"

الإنفصال وسقوط دولة الوحدة الأولى

١١ - يعتبر كثير من المفكرين العرب .. أن كارثة الإنفصال في سبتمبر ١٩٦١ وسقوط دولة الوحدة .. هو أكبر كارثة حاقت بالمشروع العربي النهضوي .. وصولا الى هزيمة الخامس من يونيو / حزيران عام ١٩٦٧ ...

ان مؤامرة الإنفصال التي تواطأ فيها حلف رجعي عربي إمبريالي بيروقراطي عسكري سوري متحالف مع البورجوازية التجارية السورية المضارة من قوانين الإصلاح الزراعي والتأميمات..

لقد نجحت مؤامرة الإنفصال بفعل عوامل عديدة يمكن إجمالها في سبب واحد " الرومانسية الثورية " التي ميزت عبد الناصر بسبب انتصاراته المتوالية منذ صفقة كسر احتكار السلاح ومعركة بناء السد العالي وعدوان السويس وما أعقبها من نجاحات غير منكورة في أزمة الثورة العراقية ومعركة الأحلاف والأزمة اللبنانية عام ١٩٥٨ ..

ولكن مع الإنفصال وضرب دولة الوحدة بدأ عبد الناصر في الإنتقال من " الرومانسية الثورية " الى ما يسميه ياسين الحافظ " الواقعية الثورية " دون أن يفقد راديكاليته وديناميكيته الثورية ..

لقد كان عبد الناصر محاصرا، من كل الإتجاهات، بأنظمة تقليدية رجعية معادية بشكل كامل أو جزئي للمشروع الناصري.

ليبيا الملكية

ففي الغرب – وعلى الحدود المصرية مباشرة - كان النظام الملكي الليبي متورطا في علاقات مع الغرب نتج عنها مجموعة من القواعد الأمريكية والبريطانية على الحدود المصرية الليبية أو بالقرب منها (قاعدتا العضم وهويلس).

والثابت أن هاتين القاعدتين الملاصقتان تماما للأراضي المصرية كانتا أرضا فعلية للتهديد على مصر، وكانت حملة التحركات العسكرية التي جرت داخل ليبيا في الفترة السابقة على حرب يونيو / حزيران ١٩٦٧ مما يقلق عبد الناصر.

في هذا الصدد يذكر " محمد حسنين هيكل " أن : " المعلومات الملتقطة على الشبكات البريطانية والأمريكية (قبل العدوان العسكري) كانت غير داعية للطمأنينة . وقد أوضحت هذه المعلومات أن هناك تحركات لمجموعة كتيبة من الدبابات في منطقة " التميمي" غرب " طبرق "، كما أن قوات أمريكية دخلت الى ولاية " برقة " قادمة من " طرابلس " . ثم أظهرت برقية ملتقطة

على الشبكة البريطانية أن القوات البريطانية في مطار " العظم " القريب من طبرق قد أقامت نقطة تفتيش يقوم عليها جنود بريطانيون بدون إشتراك أي عنصر ليبي "

ويبدو أن هذه التحركات الغربية كانت قد أقلقت العناصر الوطنية والدينية في ليبيا ، فأرسلت بعريضة الى الملك تتطالبه بوقف هذه التحركات ووضع اليهود في ليبيا تحت الحراسة والسماح للقوى الوطنية بالحركة والتعبير عن مساندتها لمصر . ثم طالبت العريضة بضرورة تخصيص ميزانية ضخمة توضع تحت تصرف : إخواننا الذين ينهضون بواجب الجهاد " . كما قالت عريضة القوى الوطنية الليبية.

تونس

٤- وعلى الحدود الغربية لليبيا كان النظام الحاكم في تونس (نظام الرئيس حبيب بورقيبة) نظاما تقليديا محافظا من الناحية الطبقية وليبراليا علمانيا فيما يخص الموقف من مسائل الدين وقوانين الأحوال الشخصية، التي كانت تصل في بعض الأحيان الى حد الإستهانة بالتقاليد الإسلامية الراسخة الخاصة بصوم شهر رمضان أو التشريعات الإسلامية الخاصة بالزواج ووضع المرأة . بإختصار كانت لبيراليته الدينية تتعارض بشكل كامل مع رجعيته الطبقية والسياسية.

على كل حال كان النظام التونسي يرى في شعبية " عبد الناصر " الطاغية تهديدا ايديولوجيا وسياسيا لوجوده وعنصرا من عناصر عدم الإستقرار لنظامه السياسي . وكانت العلاقة مع بين عبد الناصر وبورقيبة قد تدهورت في أعقاب زيارة قام بها الرئيس التونسي إلى الأردن في مارس ١٩٦٥ عندما أعلن أمام حشد من أهالي القدس أن السياسة العربية تجاه إسرائيل تقوم اساسا على العاطفة والإنفعال وقال إنه لا يمكن حل المشكلة الفلسطينية إلا بالإعتدال والتعقل، وينبغي على الفلسطينيين أن يحذو حذو إخوانهم التونسيين ويعيشوا في سلام مع اليهود الذين يقطنون بلادهم.

وسرعان ما تعرض بورقيبة لهجوم عنيف في كل صحيفة عربية تقريبا ولم تتوان الصحف المصرية في توضيح الفرق الجوهري بين الأقلية اليهودية الصغيرة في تونس، التي لم تلحق أي ضرر بالمواطنين العرب وبين المليونين من الإسرائيليين الذين يعيشون في أرض أغتصبوها من الشعب الفلسطيني عن طريق الغزو.

وطالب " الشقيري " بطرد تونس من الجامعة العربية . وسحب " عبد الناصر " سفيره من تونس تعبيرا عن الإحتجاج . وتعرضت السفارة التونسية في القاهرة لأعمال عنف وحريق بواسطة مجموعة من الطلبة إستبد بهم الغضب . وتعرضت السفارة المصرية في تونس لنفس المعاملة . وعندما زاد التوتر بين الطرفين، أصدرت الحكومة المصرية على الفور بيانا نفت فيها مسئوليتها عن حادث القاهرة، وأوضحت أن الجهود الباسلة التي قام بها رجال الشرطة فشلت في كبح جماح المشاعر المتأججة التي إستبدت بمرتكبي الحادث. فما كان من " الحبيب بورقيبة " إلا أن أصدر على الفور بيانا مماثلا عن إحراق سفارة مصر في تونس.

ثم حدثت حادثة أخرى كانت ذات وقع على موقف دول المغرب الثلاث : تونس .. ليبيا .. المملكة المغربية . ففي غضون أسابيع قليلة من القطيعة التي حدثت مع تونس، قام " عبد الناصر " بقطع العلاقات مع ألمانيا الغربية ردا على قرار بون الإعتراف بدولة إسرائيل . وكان هذا النزاع قد بدأ منذ أن إكتشف في عام ١٩٦٠ أن ألمانيا الغربية تزود إسرائيل بكميات ضخمة من الأسلحة الأمريكية . وفي شهر فبراير ١٩٦٥ قرر عبد الناصر الضغط على بون بدعوة رئيس ألمانيا الشرقية " والتر أولبريخيت " لزيارة القاهرة، ثم أعلن، بعد توقيع إتفاقية للتعاون العلمي والفني مع ألمانيا الشرقية، إن مصر تفكر في إقامة قنصلية عامة في براين الشرقية وإنه قد يقوم شخصيا بزيارة ألمانيا الشرقية في المستقبل ردا على زيارة أولبريخت للقاهرة.

وأعقب ذلك احتجاجات ساخطة من ألمانيا الغربية التي كان نظام " أولبريخت " التابع لروسيا يمثل لهم لعنة كلعنة إسرائيل بالنسبة للعرب . وبناء على تحريض إسرائيلي قامت ألمانيا الغربية بسحب جميع الفنيين الألمان الذين يعملون في مصر، وردت مصر بإلقاء القبض على أربعة من الأمان بتهمة التجسس لحساب إسرائيل . وردت ألمانيا الغربية على ذلك بأنها سوف تقيم علاقات ديبلوماسية مع تل أبيب وعلى الفور تم سحب السفارة المصرية في بون وقامت جماهير الطلبة الغامضة بمهاجمة الممتلكات الألمانية في كل أنحاء الوطن العربي، بما في ذلك سفارتي ألمانيا في بغداد وصنعاء.

ولما ناشد عبد الناصر الدولة العربية قطع العلاقات مع ألمانيا الغربية وافقت جميع هذه الدول، بإستثناء حكام تونس والمغرب وليبيا !!!

وحين عقد مؤتمر القمة الثالث في الدار البيضاء في سبتمبر ١٩٦٥ آثر بورقيبة عدم حضور المؤتمر والمواجهة مع عبد الناصر . (أنتوني ناتنج، ناصر، دار مكتبة الهلال ومدبولي، ص ٤١٤).

الجزائر

٥ – وفي الجزائر، كان الإنقلاب العسكري للعقيد " هواري بومدين " قد أطاح بحكم الرئيس " أحمد بن بيلا " عام ١٩٦٥ والذي كان ينتهج نهجا ناصريا واضحا في كثير من المسائل الخاصة بحركة التحرر الوطني في العالم الثالث . وقد ظلت العلاقة الخاصة بين عبد الناصر وبن بيلا تلقي بظلالها على علاقة البلدين من وقت الى آخر . ولكن في الأيام الأولى لشهر يونيو / حزيران ١٩٦٧ كان الرئيس " بومدين " في حالة معنوية عالية وفي رأيه أن الآوان قد آن لضرب إسرائيل وردع خطرها .. ومع ذلك فقد

كان رأيه في المحصلة الأخيرة هو أنه لن تحدث حرب لأن الولايات المتحدة الأمريكية ليست في وضع يسمح لها بالقتال في الشرق الأوسط . وإسرائيل لن تستطيع القتال بدون أمريكا أو بدون أوامر من أمريكا مؤكدة بضمان . فإذا كانت إسرائيل وحدها هي التي ستحارب، فهي غير قادرة على أن تقاتل في ثلاث جبهات مرة واحدة (مصر والأردن وسوريا).

وقد أثبتت الوقائع والوثائق عكس هذا التقدير، فالولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل كانت تعدان بالفعل الخطة العسكرية للعدوان العسكري، خلافا لكل التقديرات.

ولكن الأمر الذي قد يحتاج تعليقا في هذه الفقرة، هو موقف القيادة الجزائرية المحبذ للعمل العسكري في مواجهة إسرائيل في هذا الوقت . لسبب بسيط هو أن القيادة السياسية التي كانت تحكم في دمشق كانت متأثرة عقائديا وسياسيا بالتجربة الكفاحية الجزائرية منذ إنتصار الثورة الجزائرية وبشكل خاص ثلاثي " الأطباء " الذي كان يتصدرون الواجهة السياسية العلنية آنذاك (الدكتور نور الدين الآتاسي رئيس الدولة .. الدكتور يوسف زعين رئيس الوزراء .. الدكتور إبراهيم ماخوس وزير الخارجية).

الأردن

٦ - أما العلاقات بين الأردن ومصر، فقد كانت تعاني بشكل خطير بعد حادث قرية " السموع " . ففي ١٣ نوفمبر ١٩٦٦ أنفجر لغم على الحدود الأردنية قرب الخليل وأدى إلى مقتل ثلاثة جنود إسرائيليين . وقد قامت إسرائيل بالرد على هذه الحادثة بشكل مبالغ فيه، فقد قامت قوة إسرائيلية مدرعة بمهاجمة قرية السموع الأردنية فدمرت مائة وخمسة وعشرين منزلا وقتلت ثمانية عشر جنديا من وحدة تابعة للجيش الأردني هرعت للدفاع عن سكان القرية . وقامت المظاهرات العنيفة في القدس وغيرها من مدن الضفة الغربية حيث تعرض الملك حسين لهجوم عنيف لأنه تخلى عن السكان الفلسطينيين وتركهم للعدو يصب عليهم جام غضبه لعدم سماحه لمنظمة التحرير الفلسطينية بالدفاع عما تبقى من وطنهم . وعندما تحركت القوات الأردنية لقمع أعمال الشغب، وجه وصفي التل رئيس وزراء الملك حسين لوما شديدا للقيادة العربية الموحدة ولسلاح الطيران المصري لعدم قيامهما بأي جهد لمساعدة الأردن في صد الهجوم الإسرائيلي الوحشي.

ووجد الملك حسين الرد المناسب للتشهير بعبد الناصر فتبنى النغمة التي كان يرددها قبله بإمتياز قادة سوريا منذ الإنفصال من أكرم حوراني حتى مجموعة " صلاح جديد " مرورا بطبيعة الحال بأمين الحافظ الذي كان يكره عبد الناصر كرها شخصيا . وهكذا أخذت الصحف والإذاعة الأردنية تردد في نغمة ساخرة أن " عبد الناصر " يختبئ وراء قوات الطوارئ الدولية ويتحاشى القتال مع العدو بينما يدعي في الوقت نفسه أنه اشد خصوم إسرائيل . كما بدأت تذيع أخبارا عن تلقي إسرائيل لإمدادات عسكرية عن طريق خليج العقبة الذي سمح لها عبد الناصر بالمرور فيه وهو يعلم أنها تستخدم في قتل عرب أقسم أن يدافع عنهم وأن القيادة الموحدة قد إنشئت لتكون بمثابة ذريعة لعدم تحرك مصر كلما تعرض أشقاؤها في الأردن أو في أي غيرها للهجوم . وبدأت حملة الدعاية الأردنية في ترويج إشاعة مفادها أن عبد الناصر يتأهب للتنازل عن الضفة الغربية مقابل تسوية سلمية منفردة وذلك بتشجيع وتواطؤ من الروس.

ولم تستطع مصر أن ترد على هذه المزاعم إلا من خلال رد ضعيف واحد هو أن الأوامر ستصدر لقوات الطوارئ الدولية بالإنسحاب في اللحظة المناسبة، وأن هذه اللحظة لا يحددها الملك حسين صنيعة الأمبريالية مثلما كان جده من قبل.

ودخل الى هذه الحملة العدائية ضد ملك الأردن، النظام الحاكم في سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية .. وعزفت . فلقد ناشد الرئيس السوري " الأتاسي " الشعب الأردني أن يطيح بالنظام القائم في عمان الذي قال إنه أصبح حجر عثرة في طريق تحرير فلسطين، وكذلك هاجم الشقيري وقيادة فتح الملك حسين لأنه منع الفلسطينيين بصورة فعالة من الإستعداد للقتال دفاعا عن أرضهم السليبة.

وقام الملك حسين بتطوير هجومه وأتهم منظمة التحرير الفلسطينية بأنها تسعى ألى القضاء على الأردن وترسل المخربين بدلا من الجنود للقتال جانب القوات الأردنية . وطالب بعقد إجتماع للقمة العربية ليكشف ما وصفه بمخططات عدوانية من جانب التوأمين - إسرائيل والإشتراكية العربية - المتحالفين مع الشيوعية الروسية والصينية . وعندما رفض طلب الملك في فبراير من ١٩٦٧ - أي قبل شهور قليلة من عدوان يونيو / حزيران - قام بسحب سفيره من القاهرة إحتجاجا على الحملات ىالتي تشنها الصحف المصرية وإذاعة صوت العرب، كما سحب إعترافه بنظام السلال في اليمن.

سوريا

بعد أحداث ١٨ تموز ١٩٦٣ وإنفراد حزب البعث بالسلطة، تفاقم الصراع السياسي بين القاهرة ودمشق . وكان الموقف من مسألة تحرير فلسطين إحدى اهم النقاط التي دار حولها هذا الصراع ومادته الرئيسية في المعركة الإعلامية الناشبة بين العاصمتين . وبالتحديد في ٢٨ أيلول ١٩٦٤ (وقد لوحظ انئذ أن العلاقات بين النظام الأردني والنظام السوري قد أصبحت إيجابية . ولأول مرة في تاريخ سوريا يقوم رئيس الدولة بزيارة السفارة الأردنية مهنئا بعيد جلوس الملك حسين على العرش و كما سمح للصحف الأردنية، ولأول مرة أيضا، بالدخول الى الأسواق السورية) أطلق نفير المعركة ضد عبد الناصر الذي أتهم انه يقبض من الغرب المعونات والمساعدات لكي يؤجل معركة تحرير فلسطين التي أصبحت ناضجة، أو لكي يصفي قضية فلسطين . وبشكل عام، كانت المواجهة جد هجومية من جانب دمشق، وجد دفاعية من جانب القاهرة . استمرت القاهرة تدافع عن مبدأ " الوحدة طريق

تحرير فلسطين "، واستمرت دمشق ترفع مبدأ " تحرير فلسطين طريقا للوحدة".
كانت المزايدة على عبد الناصر بقضية فلسطين هي اللعبة المفضلة للحاكمين في دمشق منذ الإنفصال عام ١٩٦١.

ماذا قال السوريون لعبد الناصر؟

من المفيد هنا ذكر محضر الإجتماع الذي تم بين الرئيس " جمال عبد الناصر " وبين الوفد السوري في القاهرة بتاريخ ٢ نوفمبر ١٩٦٦ والذي رأسه " الدكتور يوسف زعين " وضم إليه " الدكتور إبراهيم ماخوس " وزير الخارجية واللواء " أحمد سويداني " رئيس أركان حرب الجيش السوري، والعقيد " عبد الكريم الجندي " مدير العمليات والدكتور " سامي الدروبي " سفير سوريا في القاهرة.

في هذا الإجتماع عرض الوفد السوري نظريته " في الحرب الشعبية " . وعندما ناقشهم الرئيس " عبد الناصر " في افكارهم عن الحرب الشعبية كان رد الدكتور " يوسف زعين " هو : " إننا لا نستطيع أن نتصرف بالطريق الكلاسيكي العادي، والمفتاح في رأينا هو تفجير طاقات الشعب .. قد يكون هذا الكلام في حيز العموميات وقد بدأنا نسوي دراسات حوله وندرس تجارب العالم، ندرس الجزائر مع تقديرنا لإختلاف الظروف، وندرس فيتنام ونضع شعار " الحرب الشعبية " موضع التطبيق . لابد أن ندرب الشعب، وأن ندعو كافة المواطنين الى حمل السلاح واستعماله وهذا هو الطريق الأضمن الذي يقودنا للنصر ولا بد أن نقف جميعا تحت شعار " الحرب الشعبية ".

وهنا أبدى " عبد الناصر " ملاحظة قال فيها للدكتور " زعين " أراك تقلب الأوضاع . لا بد أن نجد الحل الصحيح أولا ثم نعبر عنه بشعار نقف تحته .. أما أن يصبح الحل هو الشعار، فهذا منطق يصعب علي فهمه ". (الإنفجار، مصدر سابق).

بالفعل كان الثلاثي الحاكم في دمشق، ومجموعة الضباط التي كانت وراءهم، قد دخلوا في مناخ فكري وعقائدي وسياسي يدفع الأمور بإتجاه المغامرة العسكرية دون أي حسابات للقوة حقيقية، ودون حساب لما يجري وراء الستار من استعدادات أمريكية واسرائيلية لإصطياد " عبد الناصر " بالذات وليس أحدا غيره.

المنظمات الفلسطينية .. وموقف فتح !!

١٠ – كانت الجماهير الفلسطينية تدرك بغريزتها الثورية أن أمل التحرير يكمن في وحدة العرب .. وفي عبد الناصر بالذات .. الذي أصبح مع الوحدة المصرية – السورية أكبر باعث لغريزة التوحد لدى العرب .. وبشكل خاص الجمهور الفلسطيني الذي أدرك – بدون لبس – أن صعود القوة العربية هو الوحيد القادر على قلب ميزان القوى في الصراع مع إسرائيل.

لكن الحدث الذي إستجد في الشهور القليلة قبل العدوان العسكري هو موقف بعض المنظمات الفلسطينية، وبشكل خاص، منظمة " فتح " . فقد ولدت في صفوف بعض المثقفين الفلسطينيين العاملين في الدول العربية البترولية والذين كان القسم الأعظم من قياداتهم متأثرين بالمناخ الفكري والسياسي للهيئة العربية العليا وحزب التحرير الإسلامي، ايديولوجيا هجومية على " عبد الناصر " أخذت تصور عبد الناصر " عميلا للصهيونية " .. لأنه يرفض القيام بأي عمل ضد إسرائيل.. كما يقول ياسين الحافظ نقلا عن الكاتب الفرنسي اليساري الشهير " إريك رولو " (الهزيمة والأيديولوجية المهزومة و دار الطليعة بيروت).

وهنا يسأل ياسين الحافظ سؤالا أراه مهما : " هل كانت دمشق وفتح اللتان التقيتا حول طرح هدف تحرير هو جدول أعمال اليوم بواسطة حرب التحرير الشعبية، سببا في اثارة حرب حزيران ١٩٦٧؟

ويجيب : " .. بالتأكيد لا .. فاللعبة أكبر منهما بكثير .. لقد كان ممكنا أن يكونا بالفعل سببا في إثارة الحرب لو أن العمل الفدائي كان أكثر فاعلية ضد اسرائيل، ولكن مادام العمل الفدائي لم يكبد اسرائيل سوى قتيل واحد من بداية العام ١٩٦٧ وحتى إندلاع حرب حزيران . لذا لا يمكن القول أن مسألة العمل الفدائي ضد اسرائيل كانت بمثابة ذريعة استخدمتها اسرائيل والإمبريالية الأمريكية في لعبة قررها البيت الأبيض " (ياسين الحافظ، مصدر سابق).

اليمن

١١ – وحتى في اليمن الذي كان يواجه حربا مسلحة على حدوده تحاول نقل معاركها الى أعماقه و راح النظام الثوري فيه والحاكم في صنعاء يتعرض الى انقسامات داخلية قسمت جبهته الوطنية الى ثلاث كتل : كتلة يتزعمها المشير " عبد الله السلال "، وكتلة يتزعمها رئيس الوزراء الفريق " العمري " وكتلة الساسة المخضرمين الذين أيدوا الثورة في أيامها وأبرزهم " القاضي النعماني ".

ووصلت التناقضات بين القوى الثلاث الى درجة باتت تهدد القاعدة التي يرتكز عليها الجيش المصري الذي قدم لحماية ثورة الشعب اليمني ودولته الجديدة .

١٢ – وكانت الأوضاع في الجنوب العربي (عدن) والخليج شديدة التعقيد، فإن الحكومة البريطانية كانت حريصة على ترتيب الأوضاع في هاتين المنطقتين الحيويتين بما يلائم مصالح الغرب فيهما قبل أن يتحقق الإنسحاب البريطاني الذي كان مقررا له عام ١٩٦٨، وهو الموعد المقرر لإتمام تنفيذ سياسة الإنسحاب شرق السويس . وكان أهم عنصر في الخطة البريطانية هي التأكد من عدم حدوث أي إتصال ممكن بين هاتين المنطقتين وبين بقية العالم العربي وبشكل خاص مع مصر عبد الناصر.

الخلاصة : من كل ما تقدم يظهر واضحا ان المشروع التحرري العربي الذي كان يقوده " عبد الناصر " يواجه معارضة واضحة

من جهات عربية حاكمة .. كان بعضها بحكم الأيديولوجية والأهداف (كالبعث والمنظمات الفلسطينية) قريبا من النظام الناصري .. لكن ضيق الأفق والإقليمية والغيرة اليسارية .. دفعت بهذه القوى الى مناوئة النظام الناصري ومناطحته علنيا .. فمهدت بذلك الى الهزيمة العسكرية .. ولو بحسن النية .. فالطريق لجهنم مفروش في أغلب الأحيان بالنوايا الحسنة!!

×××××××××××

((٥))

هل ضلل السوفييت عبد الناصر ؟
شمس بدران نقل الى عبد الناصر تصريح مجاملة قاله المارشال " جريتشكو " على انه موقف رسمي
ماهي حقيقة الحشود الاسرائيلية على حدود سوريا..هل كانت خدعة ؟

ضمن القضايا التي يثور فيها جدل كبير ، موقف السوفييت في هذه الحرب .. فالسوفييت هم أول من نبهوا " عبد الناصر " لوجود حشود إسرائيلية على الجبهة السورية ، وقد تردد كثيرا رأي شديد السطحية والهشاشة .. مفاده أن السوفييت أرادوا " توريط " عبد الناصر والعرب في حرب مع إسرائيل وهم يعلمون مسبقا بضعف العرب واحتمالات هزيمتهم في الحرب على يد إسرائيل القوية .. حتى يبقى العرب – وبخاصة ناصر – معتمدين على السوفييت !!

وهو تفسير هزلي ولا شك .. يصلح لتسلية الأطفال قبل النوم !!

صحيح ان الإتحاد السوفييتي كان المصدر الرئيسي للمعلومات التي وردت للقاهرة في مايو ١٩٦٧ ... ولقد ورد في بيان الحكومة السوفياتية الصادر في ٢٣ مايو ١٩٦٧ ، مايؤكد ان السوفييت كانوا مصدر تلك المعلومات ،يقول البيان : " وقد صدرت الأوامر فعلا يوم ١٩ أبريل بتحريك قوات إسرائيلية الى سوريا ، وتبين بجلاء أن إسرائيل لم تكن لتستطع أن تنهج هذا النهج مالم تكن تحظى بالتشجيع المباشر وغير المباشر لموقفها هذا من جانب دوائر استعمارية معينة " (نورا محمد ماهر ، النكسة ٦٧ ، مصر ومعضلة المعلومات ، دار الهدى للنشر والتوزيع)

وهناك تفسيرات كثيرة تذهب الى فكرة تواطؤ الإتحاد السوفييتي ضد مصر في ذلك الوقت ومنها :

• ماذكره السيد صلاح نصر (رئيس المخابرات المصرية وقت الحرب والذي تمت محاكمته بعد الحرب والحكم عليه بأربعين سنة سجن) فقد ذكر أنه تم تسريب معلومات لعبد الناصر عن طريق البحرية السوفياتية التي التقطت إشارات صادرة من تل أبيب توحي بقيام حشود على الحدود السورية الإسرائيلية لغزو سوريا . كما قامت إسرائيل بتسريب معلومات الى السفارة السوفياتية في تل أبيب تفيد نفس المعنى .. وأسرع السوفييت بتوصيل هذه المعلومات الى الرئيس عبد الناصر .

• ويعلق صلاح نصر على ذلك قائلا : وهنا علامة استفهام على هذا الأمر لأتساءل : هل خدع الإسرائيليون السوفييت فنقلوا هذه المعلومات بحسن نية الى عبد الناصر ؟ وهذا في رأيي أمر بعيد الإحتمال ، ومن المفروض أن يقوم جهاز المخابرات السوفييتي بتحليل هذه المعلومات وتقييمها قبل أن يرسلها الى عبد الناصر " صلاح نصر ، الأسطورة والمأساة ".

• ان صلاح نصر يستبعد أن يكون الأتحاد السوفيتي ضحية خديعة إسرائيلية .. وبالتالي لا يبقى الا احتمال أن يكون السوفييت هم الذين خدعوا عبد الناصر !!

• أما الفريق " عبد المحسن مرتجي " قائد جبهة القتال .. فيقول : ان روسيا لديها جهاز مخابرات على أعلى مستوى وكانت تعلم أنه لا يوجد مثل هذه الحشود .. ويستدل على ذلك برفض السفير السوفييتي في إسرائيل الدعوة الموجهة اليه من وزير الدفاع الإسرائيلي لمصاحبته في جولة في الجليل ومناطق الحدود ليرى بنفسه أنه ليست هناك أية حشود عسكرية إسرائيلية " (نقلا عن نورا محمد ماهر ، المصدر السابق صفحة ١٢٠) .

• وعلى عكس الآراء السابقة التي يقول بها قادة الهزيمة - الذين تم محاكمتهم أو عزلهم – يذهب آخرون أنه تم خداع

السوفييت .. ولعل أدق رواية يمكن الإعتماد عليها في هذا الصدد هي رواية السفير " مراد غالب " سفير مصر في موسكو .. حيث كان أول " إنذار " بوجود حشود إسرائيلية على الحدود السورية.. وفي هذا الصدد يقول " مراد غالب " :

• " كنت في حفل وداع الوفد البرلماني المصري برئاسة أنور السادات في أوائل الأسبوع الثالث من مايو ١٩٦٧ ، عندما أبلغني " سيميونوف أن هناك حشودا إسرائيلية على سوريا ولما إستفهمت منه عما يقترحه لمواجهة ذلك .. قال : نحن نبلغكم فقط (!!

• " ذهبت الى السيد أنور السادات وأبلغته بالمعلومات وإقترحت عليه أنه مادام سيغادر موسكو باكر صباحا .. فيمكنه توصيل هذه المعلومة الى الرئيس عبد الناصر .. فرفض السادات وقال : عليك أنت إبلاغها فورا لعبد الناصر (!!)

• " وقمت بذلك ، وعلمت فيما بعد أن السوفييت أبلغوها للقيادة العسكرية المصرية وطبعا علمت القيادة السياسية بذلك "

• وقد أرسلت برقية عقب سماعي بخبر الحشود فورا ، ولكني أضفت إليها هذه الفقرة : " وقد ترون عرض الموضوع على الأمم المتحدة " .. وذلك لخوفي أن ننجر الى حرب .

• " ثم قام الفريق فوزي ومعه مستشاروه العسكريون بزيارة سوريا . وزار هو والقيادة العسكرية السورية الجبهة بطائرة هليكوبتر وعادوا يؤكدون أنه لا توجد حشود على سوريا ".

• " وأبلغت الماريشال " جريتشكو " بنتيجة الزيارة فأكد أن هناك حشودا إسرائيلية على وجه اليقين (!!) وأنهم يعلمون تفاصيلها حتى أسماء قادة الألوية ، بل وأسماء قادة الكتائب ، وقال أنه يتعجب من كلام الفريق فوزي (!!)

• ثم تداعت الأحداث كما هو معروف .. وحشدنا قوتنا المسلحة على الحدود ، وأستدعينا مائة ألف من الإحتياطي .. ووصل الموقف الى منتهى التوتر وأغلقنا مضيق تيران

• ويفسر السفير " مراد غالب " هذا التناقض في المعلومات ، بأن المعلومات التي وصلت بهذه الدقة الى السوفييت قد سربها الإسرائيليون عمدا للتمويه الإستراتيجي على أهداف وحشود إسرائيل ، كما ذهب السفير " مراد غالب " الى القول بأن السوفييت قد أبلغوه بأن لهم رجالا داخل مجلس الوزراء الإسرائيلي .. مما سبق يتضح احتمال أن يكون هؤلاء قد سربوا هذه المعلومات عمدا لصرف الإنظار بعيدا عما يجري الترتيب له على الجبهة المصرية " (مراد غالب ، مع عبد الناصر والسادات . سنوات الإنتصار وأيام المحن ، ١٢١) .

إسرائيل مريضة بسوريا !!

• الواقع أن التفسيرين غير صحيحين على ضوء ما كشفت عنه الوثائق الإسرائيلية الجديدة .. وما تقول به منطق الوقائع .. ولقد حاول الأستاذ محمد حسنين هيكل تفسير واقعة الحشود الإسرائيلية معتمدا على تفسيرات الأستاذ " آفي شلايم " في كتابه " الحائط الحديدي " .. ويعتمد " هيكل " فيها على إعترافات متأخرة لموشيه ديان عن إستفزازات متعمدة لسوريا في ذلك الوقت بهدف توريط عبد الناصر بالوقوف مع سوريا والدخول في حرب يتم فيها اصطياد عبد الناصر وفق خطة أسرائيلية – أمريكية سابقة عرفت باسم " خطة إصطياد الديك الرومي " .. وقد ذكر الأستاذ " هيكل " هذه الوثائق الجديدة في كتابه " عام من الأزمات ٢٠٠٠– ٢٠٠١ .

• قد فضلت العودة الى النص الأساسي لكتاب " آفي شلايم " في ترجمته العربية .. فلم يتأكد لي أن حشودا إسرائيلية ضخمة على الحدود الإسرائيلية كانت سببا في إندلاع الأزمة .. بل أن تحليل الأستاذ " آفي شلايم " يبدو أكثر منطقية ومتمشيا مع الوقائع التاريخية من تحليل الأستاذ " هيكل " ..كيف؟

أولا : أن الوثائق الإسرائيلية التي تم كشف عنها في كتاب الحائط الحديدي " لآفي شلايم " تكشف عن إعترافات متأخرة لموشي ديان لإستفزاز سوريا

ثانيا : ان إبلاغ السوفييت لمصر بمعلوماتهم عن الحشود الإسرائيلية القى مهمة التأكد من هذه المعلومات على عاتق الجانب المصري .. الذي اصبح حر التصرف في المعلومات التي حصل عليها والتحقق منها بالتأكيد أو النفي . وليس من المنطقي أو المعقول أن تذهب دولة الى الحرب بعيون مفتوحة لمجرد أن دولة أخرى قد زودتها بمعلومات عن حشود عسكرية .. ان التفسير القائل برغبة السوفييت في " توريط " مصر وعبد الناصر في حرب مع اسرائيل يبدو منافيا للحقيقة .. لماذا ؟

ثالثا : لأن وقائع المحادثات بين السوفييت ووزير الحربية شمس بدران التي تمت على جلستين الأولى في ٢٦ / ٥ / والثانية في ٢٧ / ٥ تظهر بوضوح تحذيرات السوفييت لمصر بعدم التورط في حرب مع إسرائيل رغم كل المعلومات الإستخباراتية بوجود حشود إسرائيلية ونية للقيام بهجوم شامل ضد مصر وسوريا !!

ومن المفيد هنا ذكر نص – تلخيص – المحادثات التي تمت بين الوفد المصري برئاسة وزير الحربية – آنذاك – شمس بدران ، ورئيس الوزراء السوفييتي " إليكسي كوسيجين " .. فمدلولات الألفاظ واضحة .. وقد جاءت كالآتي كما ذكرها السفير " مراد غالب " في كتابه .. حيث نراه يقول :

" لخص " أليكسي كوسيجين " رئيس الوزراء السوفييتي الموقف السوفياتي في العبارات التالية :

• ندما حشدت إسرائيل قواتها ضد سوريا أبلغناكم بذلك ، وكانت المعلومات صريحة وأظهرت الحوادث سلامة سياسة الجمهورية العربية المتحدة ، مما دفع بالأنظمة العربية الرجعية الى تأييد إجراءتكم خوفا من الرأي العام ، فالشعوب حلفاؤكم وليس

الحكومات .

• علوماتنا تؤكد وجود نشاط كبير في اسرائيل ، وقد تقوم بعمليات عسكرية في نهاية آيار (مايو) فهم يجهزون لتوجيه ضربة (؟!) والمعروف أنه عندما تنشب العمليات العسكرية صعبا على العالم معرفة من بدأها . وأنا أفهم وجهة نظر عبد الناصر هي أن يزداد التوتر على الحدود ، ولكن بصورة لا تؤدي الى عمليات عسكرية ، فقد حصلتم على كل ما تريدون ، ونحن نرى الإكتفاء بما وصلتم اليه : انسحاب قوات الطوارئ وسيطرتكم على الخليج ، قواتكم في غزة ، ماذا تريدون أكثر ؟ ولكن العدو لن يوافق على اغلاق الخليج تماما .

•نحن نعتبر النقاش حول الطاولة مفضلا على المعارك الحربية مع إظهار القوة . فإذا قبلتم هذه الإفكار تكون أفكارنا متطابقة ، وبخصوص طلباتكم العسكرية قدموها لوزير دفاعنا ، ولكن هذه الأمور يجب ألا تساعد على الحرب ، لأن عدم قيام حرب في مصلحتكم ، والمعلومات التي وصلتنا اليوم تقول أن هناك داخل اسرائيل من يدعو الى عمليات عسكرية حتى بعد زيارة " يوثانت " ، ان تأجيل المشكلة ليس في مصلحة اسرائيل ، وسوف يشترك " ديان " في العمليات وهم يقيمون خنادق في تل أبيب ويعززون الدفاع الجوي ، لابد من التصرف العاقل والتفكير البارد ، ولا نعطي فرصة للإستفزازات ، وسنجتمع في مكتبي الساعة العاشرة صباحا لنستمع الى وزيرنا للدفاع " . (نقلا عن كتاب أمين هويدي ، حرب ١٩٦٧ ، أسرار وخبايا ، المكتب المصري الحديث ، صفحة ٦٧)

واضح – أولا – من نص الجلسة يقين السوفييت وتأكدهم من معلوماتهم عن استعدادات إسرائيل لبدء عمليات العسكرية ..

وواضح – ثانيا – من هذه الجلسة " تفهم " السوفييت لمناورة " عبد الناصر " التكتيكية تصعيد الموقف دون الدخول في حرب عسكرية والإكتفاء بالمكاسب " التكتيكية " : سحب قوات الطوارئ والسيطرة على خليج العقبة " وماذا تريدون أكثر ؟

وواضح ثالثا أن " السوفييت " لا يريدون الوصول للحرب لأنها كما قالوا لشمس بدران " ليست في مصلحتكم " (!)

وواضح – رابعا – قبول السوفييت بمطالب مصر العسكرية من حيث المبدأ وعرض ذلك على وزير الدفاع السوفييتي

فإذا إنتقلنا للجلسة الثانية المنعقدة في ٢٧ / ٥ في موعدها المحدد في مقر رئاسة بحضور وزير الدفاع السوفييتي سنجد نصها كالآتي .. كما يقول مراد غالب :

•بعثنا رسالة الى رئيس وزراء اسرائيل نحذرهم من بدء العدوان ، وسنرسل اليوم رسالة الى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية متضمنة رأينا بأن مساعداتها لإسرائيل تزيد من حدة التوتر ، وسنخبره بأنه اذا قامت اسرائيل بالعدوان فإن الولايات المتحدة ستكون في نظرنا هي المعتدية وسنؤكد ان عواطفنا مع العرب وسنرسل رسالة ايضا الى بريطانيا لتوضيح موقفنا .

•قسمنا طلباتكم من الأسلحة الى ثلاثة أقسام : القسم الأول الخاص بالعقود المفروض تنفيذها عام ١٩٦٨ سيتم شحنها كلها تقريبا في تموز وآب (يوليو وأغسطس) هذا العام (أي ١٩٦٧) ، أما القسم الثاني والخاص بالطلبات الجديدة فقد صدرت التعليمات بسحبها من مخازن وزارة وشحنها فورا (!) ، أما بالنسبة للقسم الثالث فقد إتصلنا بالمصانع وسنخطركم بالقرار خلال عشرين يوما .

•هذا بخلاف موافقتنا – بناء على طلب الرئيس ناصر – على امدادكم ب ٤٠ طائرة ميج ، ١٠٠ مصفحة ، كما قرر المكتب السياسي في اجتماعه امس تخفيض السعر الى ٥٠٪ بسبب الظروف الحالية (كان المتبع دفع ثلثي ثمن الأسلحة على عشر سنوات بفائدة ٢٪) .

•أكرر .. ان امدادات الأسلحة لكم ولسوريا هدفها ألا يحدث إشتباك مسلح ، لأننا نريد السلام من خلال القوة ، وقد وصلت برقية الآن من سفيرنا في تل أبيب عن مقابلته مع " اشكول " والتي أكد فيها رئيس وزراء اسرائيل أنهم لا يسعون الى الحرب وان واشنطن تدعوهم للتحفظ " .

واضح من هذه الجلسة – أولا – استجابة السوفييت للطلبات المصرية و " الخضوع " في التعامل مع طلبات وزير الحربية المصري " شمس بدران " . فالعقود التي تم الإتفاق عليها مسبقا تم الإسراع بتنفيذها لتصل الى مصر خلال يوليو واغسطس .. اما الطلبات الجديدة " فسيتم سحبها من المخازن وشحنها فورا " .. والطلبات الأخرى سيتم الإتصال بالمصانع وإخطار مصر بالموقف خلال عشرين يوم .

وواضح – ثانيا – أن السوفييت لا يريدون الوصول الى نقطة الحرب وانهم لا يشجعون على الصدام بل ويحذرون من الإعتقاد ان موافقتهم على طلبات السلاح وتنفيذها تعني موافقتهم على الحرب والصدام .

وهنا يهمني أن أثبت بعض ملاحظات فيما يخص موقف السوفييت :

أولا : أن قادة النظام المصري من العسكريين والسياسيين الذين تمت محاكمتهم بعد الهزيمة (عبد الحكيم عامر .. شمس بدران صلاح نصر .. عبد المحسن مرتجي .. أنور القاضي وغيرهم) حاولوا ألصاق تهم متعددة بالسوفييت منها تضليل مصر فيما يخص الحشود الإسرائيلية على سوريا واستعداداتها العسكرية ..

لقد أوضحت الوثائق الإسرائيلية الجديدة عن خطط الخداع – بما لايدع مجالا للشك – صحة المعلومات الإستخباراتية السوفياتية والتي نقلها فورا للجانبين المصري والسوري .

ثانيا : رغم عدم اقتناع السوفييت بتصعيد التوتر الى حد الحرب والصدام .. نجد أنهم انصاعوا للرغبة العربية .. المصرية بالذات .. في التصعيد للحصول على مكاسب " تكتيكية " (سحب قوات الطوارئ والسيطرة على الخليج) .. ولكنهم في الوقت ذاته يحذرون من المضي أكثر من ذلك (فالحرب ليست في مصلحتكم !!)

هل كان يعلم السوفييت بهشاشة الإستعدادات العربية لحرب " جدية " مع اسرائيل ؟ هل أرادوا تجنيب العرب .. وتجنيب أنفسهم .. هزيمة الأنظمة الحليفة لهم في المنطقة .. مصر وسوريا .. بالتحذيرات الواضحة من الحرب ؟!!

للحقيقة أننا لا نجد أي وثائق " سوفياتية " تؤكد على مخاوف السوفييت وهواجسهم من " ترهل " الوضع العربي سياسيا .. وعسكريا في المقام الأول ..

وأنا أعتقد ان السوفييت لم يكونوا بعيدين - إستخباراتيا وسياسيا - عن الأوضاع " المنفلتة والمنفلشة " في الجيشين .. المصري والسوري !!

ان تحذيرات " إالكسي كوسيجين " الواضحة والصريحة لم تؤخذ على محمل الجد في الجانب العربي

ويذكر أمين هويدي في كتابه " خمسون عاما في العواصف " وفي كتابه " حرب ١٩٦٧ " :

أن صورة محضر الإجتماع بين الوزير شمس بدران ورئيس الوزراء السوفييتي " اليكسي كوسيجين " تم أرسالها للرئيس عبد الناصر " .. ولكنه لم يقرأها الا بعد انتهاء الحرب لأن وقته لم يسمح الا بالإستماع الى تقرير شفوي من الوزير " شمس " الذي كان متأثرا الى حد كبير بحديث عابر للمارشال " غريتشكو " أثناء توديعه في المطار .. اذا قال له وهو على سلم الطائرة في طريق العودة : " على العموم أساطيلنا تحت أمركم " علما بأن حديث جريشكو لم يكن الا حديث طريق لرفع الروح المعنوية للوزير وهو يغادر موسكو ، حسب ما قال المارشال السوفييتي بنفسه للسفير " مراد غالب " حينما سأله عن معنى ما قاله للوزير المصري .

ويضيف هويدي : ويبدو ان الرئيس عبد الناصر صدق ما نقله اليه الوزير لأنه قال لأعضاء مجلس الأمة يوم ٣٠ / ٥ / ١٩٦٧ حينما إجتمع معهم في قصر القبة ليبلغوه بقرار مجلس الأمة " تفويضه " بقرار الحرب .

ويقول " هويدي " ولقد استمع مجلس الوزراء – وقد كنت عضوا فيه (وزير دولة لشئون مجلس الوزراء) – الى بيان وزير الحربية (شمس بدران) عرض فيه بعض الخرائط التي سارع بعض الضباط بوضعها على لوحات معدة من قبل .. وهو يبتسم ابتسامة لا تتفق مع خطورة الإجتماع والأوضاع (يقصد الوزير شمس بدران) . (نقلا عن أمين هويدي . حرب ١٩٦٧ ، ص ٧٠)

ويهمني هنا أن يطالع القارئ بنفسه ما كتبه الوزير " أمين هويدي " عن وقائع جلسة مجلس الوزراء التي نوقش فيها موضوع الحرب تفصيليا .. وفي رأيي أن وقائع تلك الجلسة غريبة .. لأنها تبين بوضوح طريقة إتخاذ القرار في الدولة .. يقول " هويدي " : وكان البيان (يقصد بيان وزير الحربية في اجتماع مجلس الوزراء) يؤكد الثقة بالنفس وبالقدرة القتالية .. وحينما أبديت - بصفتي وزيرا للدولة لشئون مجلس الوزراء – قلقي من الأوضاع المحلية والعربية ، ومن احتمال تدخل الأساطيل الموزعة في المنطقة .. رد وزير الحربية – بنفس الإبتسامة والثقة – اذا تدخل الأسطول الأميركي فنحن كفيلون به ، وانتهى اجتماع مجلس الوزراء من دون اعتراضات من أحد " (هويدي ، حرب ١٩٦٧ ...) .

××××××××

« ٦ »

براءة الاتحاد السوفيتي من مسؤولية النكسة

الاتحاد السوفيتي لم يتحمس للحرب وحذر من عدم جاهزية سوريا وتساءل عن موقف الأردن
شمس بدران يشرح في موسكو خطة الهجوم على إسرائيل!

وصلنا إلى أن شمس بدران نقل صورة للرئيس عبد الناصر غير واقعية عن اللقاء الذي جمعه في موسكو مع وزير الدفاع السوفيتي المارشال جريشكو،واوحى الى ناصر بأن الاتحاد السوفيتي يمكن ان يدخل المعركة الى جانب مصر، واستشهد المؤلف بما جاء على لسان أمين هويدي وشهادته التي نعرضها في هذه الحلقة ضمن شهادات أخرى عن طبيعة وحقيقة الدور السوفيتي في الحرب.. إن قصة لقاءات وزير الحربية المصري "شمس بدران" في موسكو وسلوكه العام تستحق السرد بشيئ من التفصيل لأنها تنم عن العقلية التي ميزت عبد الحكيم عامر ورجاله من الإستهتار والغرور على حد سواء.. فشمس بدران هو أحد رجال "عبد الحكيم عامر" والتالي له في المسئولية.. ويصف الدكتور مراد غالب وقائع هذه اللقاءات بما يدعو للدهشة.. حيث نراه يقول : كان شمس بدران الرجل الثاني في القوات المسلحة بعد المشير عامر.. ومن أقرب العسكريين إليه.. وقبل حرب يونيو بعشرة أيام، جاء شمس بدران إلى موسكو، وكان وزيرا للحربية في زيارة للإتحاد السوفييتي، ليشرح الموقف السياسي والعسكري المتوتر في المنطقة للقيادة السوفييتية . طلب شمس أن يكون لقاؤه مع الزعماء السوفييت على إنفراد، على أن أكون معه فقط كطلب المشير عبد الحكيم عامر . (!!)

وكان أول لقاء مع الماريشال "جريتشكو" وزير الدفاع ، وقد قابله عند وصوله للمطار، ثم قابله في مكتبه بوزارة الدفاع السوفياتية مقابلة رسمية أولى، وسأله الماريشال "جريتشكو" عما سيقوله لرئيس الوزراء "كوسيجين" في لقائه معه.. ورد شمس بدران بكلام بعيد عن حدود اللياقة اذا قال له : لو أني أبلغتك بما سأقوله لكوسيجين فمالذي سوف أقوله له عندما أقابله؟ (!!)

وإمتعض جريتشكو (!!).. ولكنه انتقل بالكلام إلى سؤاله: إذن هل أغلقتم مضيق تيران؟

ورد عليه شمس بدران: نعم أغلقناه (وعقب اللقاء أبلغني شمس بدران أننا لم نغلق المضيق حتى الآن !!)

قال جريتشكو: لإفترض أن سفينة إسرائيلية أرادت المرور من المضيق؟

قال شمس: سوف نوقفها.

فعاد جريتشكو للسؤال: وإذا كانت تابعة لأي دولة أخرى؟

أجابه شمس: سنقف بكل حزم ولن نسمح لها بالمرور.

قال جريتشكو: إفترض ان سفنا حربية أمريكية هي التي جاءت؟

أجابه شمس: سننذرها بأن المضيق مغلق وأنها لا تستطيع المرور.

وراح جريتشكو يهز رأسه مستنكرا هذا الكلام، لكنه كان يتمتع بصبر أيوب، لأنني أنا أيضا أصابتني دهشة بالغة من هذا الكلام..

ثم ذهبنا لمقابلة كوسيجين.. وهنا يروي السفير "مراد غالب" جانب آخر من الحوار بين رئيس الوزراء ووزير الحربية المصري وانطباعاته الشخصية على الحوار.. قائلا: "... راح شمس بدران يشرح وضع الحشود المصرية على الحدود الإسرائيلية، وشرح بإسهاب أن الخطة المصرية هي خطة هجومية(!!)

وقال إن القوات المصرية ستنقسم الى ثلاث شعب احداها تتجه شمالا الى تل أبيب.. وشعبة في الوسط الى الى بير سبع.. والشعبة الرابعة ستذهب في اتجاه إيلات (!!) وبعد شرح الخطة تفصيليا، رد كوسيجين وقال ما يأتي بالحرف الواحد:

"نحن نعتقد أن الموقف في منتهى الخطورة.. وأن مواجهة قوات مسلحة بهذا الحجم وبهذا التسليح على جانبي الحدود، قد تؤدي الى حرب وعمليات عسكرية بين الجانبين.. وفي هذه الحالة لا يستطيع أي طرف منهما الإدعاء بأنه لم يبدأ الحرب، لأن أي شرارة معناها الحرب، وعليكم أن تضعوا هذا في حسابكم".

وبعد أن شرح كوسيجين خطورة الموقف، وجه الى شمس بدران مباشرة أسئلة يطلب الإجابة عليها وهي:

هل في حساباتكم أن الأردن لن يدخل الحرب؟

فرد عليه شمس بعدم إكتراث : لا.. لا.. لم نضع في حساباتنا أن الأردن سيدخل الحرب.

وهل في حساباتكم أن سوريا غير جاهزة ولن تدخل الحرب؟(!!)

فقال بدران: لا.. لا.. ليس في حساباتنا مطلقا دخول سوريا.. ونحن أبعدنا من حساباتنا الأردن وسوريا(!!)

وجاء السؤال المهم جدا - يقول مراد غالب - وأعتقد أن شمس لم يفهم معناه:

هل في حساباتكم أن الولايات المتحدة قد تتدخل في هذه الحرب؟

ويقول مراد غالب: "أن المعنى الذي يعكسه السؤال أن الإتحاد السوفييتي لن يتدخل في الحرب. فقال شمس بدران: إن هذا سوف يجعل العالم كله يرى أمامه دولة عظمى تضرب دولة من دول العالم الثالث.

ويقول مراد غالب: ولقد تعجبت من ردود وزير حربية مصر، وظهر التعجب أيضا على وجه رئيس وزراء الإتحاد السوفييتي.

وقال كوسيجين لبدران: عليكم تهدئة الموقف على الحدود.

طلبات أسلحة غير منطقية

وعاد كوسيجين يكرر أن الموقف في غاية الخطورة وينذر بحرب واسعة النطاق في الشرق الأوسط وأن حشد قواتكم المسلحة على حدود إسرائيل جعلها تردد أنها لا تريد الحرب وأنها تريد السلام وأنها أيضا لا تريد الهجوم على سوريا . كما أنكم أبعدتم قوات الطوارئ الدولية عن الحدود عند خليج العقبة ومضيق تيران وهذا يعني أنكم أنقذتم سوريا وأخفتم إسرائيل.

وأضاف كوسيجين:

من ناحية أخرى فقد حققتم مكسبا يتمثل في التخلص من آخر بقايا حرب ٥٦ بإخرج قوات الطوارئ الدولية من على حدودكم وعليكم أن تحافظوا على هذه المكاسب.

أما كيف تحافظون عليها، فهذا يستلزم أن تعملوا على تهدئة الموقف على الحدود مع إسرائيل وايضا الموقف بصفة عامة في المنطقة، ولا بد أن تتخذوا خطوات عملية تثبت أنكم لا تريدون حربا فعلا.

وكان معنى كلام كوسيجين - كما يقول مراد غالب - أن تسحب القوات وإن لم يقل هذا صراحة.

بعد ذلك عقدت الجلسة الثانية من المباحثات لمناقشة طلبات مصر فأحاله كوسيجين أى المارشال جريتشكو. ثم وصلت في آخر يوم لإقامة شمس بدران في موسكو برقية من القيادة العسكرية تطالب بتسليح فرقة دبابات، وفرقة مشاة مصفحة ومدفعية وطلبات أخرى كثيرة . ويقول مراد غالب: "ومن جانبي تعجبت من ان حربا توشك أن تنشب بعد أيام قليلة، ونطلب الآن هذا الأسلحة التي تحتاج الى وقت لجمعها وتوصيلها، ثم التدريب عليها، وتساءلت هل القاهرة تنتظر حربا أو لا تنتظر؟(!!)

بالشبشب في حضرة الماريشال!!

ثم يضيف السفير مراد غالب أحد غرائب هذه الزيارة فيقول: وفي صباح اليوم التالي وصل الماريشال "جريتشكو" إلى دار الضيافة التي يقيم بها شمس بدران.. وكان "جريتشكو" مرتديا زيه الرسمي العسكري مرصعا بكل نياشينه.. فقد كان بطلا من أبطال الحرب العالمية الثانية.

ولم يكن شمس بدران في استقبال جريتشكو.. فإنتظر هذا الأخير حتى نزل شمس بدران من الطابق الثاني.

ويقول مراد غالب: ثم وجدنا وزير حربية مصر ينزل من الطابق الثاني مرتديا القميص والبنطلون ومنتعلا "شبشبا" في قدميه. (مراد غالب . مع عبد الناصر والسادات، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ص ١٠٦) وهكذا قابل شمس بدران بطل الإتحاد

السوفييتي المارشال "جريتشكو" بالشبشب (!!) وقدم شمس بدران قائمة الطلبات التي وصلت برفقيتها من القاهرة.
ولي تعليق على هذه الفقرة:
فالأستاذ "أمين هويدي".. وهو رجل عسكري وخبير إستراتيجي متميز وعضو بمجلس الوزراء.. وهو الذي عينه عبد الناصر وزيرا للحربية ومديرا لجهاز المخابرات خلفا لشمس بدران وصلاح نصر.. هو نفسه "يعترف" صراحة بعدم وجود اي اعتراض من وزراء عبد الناصر على كلام شمس بدران.. بالمقابل ينسب لنفسه أنه الوحيد الذي سأل عن احتمال تدخل الأساطيل الأمريكية في الحرب.. وهو مايعني أن "قرار" الحرب كان مجمعا عليه من كل الحاضرين.. وان القضية التي اثارت اهتمام (هويدي) هي احتمال تدخل الأساطيل الأمريكية..
فإذا علمنا أن الوزير "أمين هويدي" قد وجه اتهامات صريحة بالتقصير في الأستعداد للحرب للفريق "محمد فوزي" – رئيس الأركان آنذاك – وللفريق محمد أحمد صادق مدير المخابرات الحربية.. وغيرهم.. وهي اتهامات صريحة بالإهمال واخفاء تفاصيل الوضع على القيادة السياسية.. ولكننا لا نلمح في مذكراته أي سؤال أو تساؤل منه أو من باقي الوزراء عن "جاهزية" الجيش للحرب ومدى استعدادات القوات المسلحة للدخول في حرب مع إسرائيل – حتى بدون تدخل الأساطيل الأمريكية –.
أن الوزير "هويدي" لا يذكر في مذكراته الصريحة والجريئة اي مناقشة تفصيلية عن "أستعداد القوات" للدخول في حرب فعلية، ولأنه رجل عسكري رفيع المستوى والفكر.. ولأنه خبير إستراتيجي متميز.. ولأنه الوحيد الذي سمح لنفسه "إنتقاد" هؤلاء الذين "صمتوا" ولم يناقشوا بيان وزير الحربية "شمس بدران".
أتساءل: ولماذ لما يناقش – هو – مسألة "جاهزية القوات واستعدادها على خوض الحرب" مادامت الأمور كانت تسير بإتجاه الحرب والصدام؟!!
ولأنه ليس بحوزتنا محضر اجتماع مجلس الوزراء المشار له.. فيتعذر علينا الحكم على مواقف الأشخاص خلال الأزمة ولكن نذكر سريعا ملاحظتين:
الأولى: ان قنوات الإتصال بالقيادة السياسية في مسألة حساسة حول موقف السوفييت من الحرب لم تقم بتوصيل معلومات دقيقة لرئيس الجمهورية الا بعد نشوب الحرب؟ الثانية: ان صنع القرار كان يعتمد على شخص واحد – هو الرئيس عبد الناصر نفسه –.
والسيد "أمين هويدي" يعترف بذلك صراحة حين يقول: "كان الأجدر بدول المواجهة – يقصد مصر وسوريا – أن تتأكد بنفسها من صحة المعلومات التي تنقل اليها من خلال أجهزتها القائمة.. والتي ثبت ان حصيلتها من المعلومات عن إسرائيل قبل الحرب كانت في غاية التواضع.. لأنها ربما كانت مشغولة بأمور أخرى تهم "التأمين الذاتي" لبقاء النظام أكثر مما تهتم بالأمن القومي للبلاد" ؟!!! (علامات الإستفهام والتعجب من عندي . ص . ح).
ولا أدري كيف يمكن حماية أمن النظام السياسي داخليا اذا كان الأمن القومي للبلد به العديد من الثغرات والفجوات الفاضحة ولا تسترعي إهتمام الأجهزة المعنية بالأمن القومي للبلد؟!
ثم يكمل الأستاذ هويدي قائلا: ... وهكذا لم تكن التحركات قبل اليوم "ي" تحركات "فردية" من عبد الناصر.. بل كان الكل يشاركون فيها: (أعضاء اللجنة التنفيذية.. والوزارة.. ومجلس الأمة.. والمؤسسة العسكرية.. والرأي العام) كان الكل متحمسين وموافقين من دون اعتراض!! (علامات التعجب من عند الأستاذ هويدي) يعني كان التحرك جماعيا على المستوى القطري.. ثم شارك بعض الملوك والرؤساء العرب ووافقوا ... وياليت الأصوات ارتفعت لتحذر أو تعارض.. وقد كان هذا كفيلا بإعادة الحسابات..."

الاتحاد السوفيتي

ولي على هذه الفقرة من مذكرات الوزير "أمين هويدي" ملاحظتين:
الأولى: من هذا السياق – يبدو – الإتحاد السوفييتي هو الوحيد الذي حذر وعارض بوضوح وصراحة قيام الحرب – بحسب وقائع المحادثات التي ذكرها أمين هويدي نفسه – ولكن مع ذلك لم ينبه أحد لضرورة اعادة الحسابات.. ولا حتى هويدي نفسه.. الذي كان عضوا وحاضرا اجتماع مجلس الوزراء الذي نوقشت فيه المواقف؟!!
ومن الطبيعي أن يسأل البعض الوزير والعسكري والمفكر الإستراتيجي أمين هويدي عن هذه "الحكمة بأثر رجعي" وقد كان شريكا في دائرة صنع القرار.. ولكن هل كان هناك دائرة صنع قرار حقيقية سواء في مجلس الدفاع الوطني أو مجلس الوزراء أو اللجنة التنفيذية العليا؟

الإتحاد السوفييتي برئ

ويهمني هنا أن أنهي "مسألة السوفييت" ومسئوليتهم عن قرار الحرب بأكبر قدر من الوضوح.. فالأستاذ أمين هويدي نفسه يقول بوضوح: "... ان الإتحاد السوفييتي هو الذي كان ينصح دائما بتهدئة الموقف.. وليس له مصلحة في وضع العرب في مأزق يؤدي بالقطع الى تآكل مصالحه في حال هزيمتهم.. لأن الهزيمة العربية كادت تعصف بالترويكا السوفياتية الحاكمة في ذلك الوقت.. لأن الشعب السوفياتي لن يقبل أن يهزم السلاح السوفياتي الذي لدى العرب أمام السلاح الأمريكي الذي كان لدى إسرائيل.. وقد لمست ذلك بنفسي بعد نهاية الحرب.. حينما ذهبت الى الإتحاد السوفييتي كوزير للحربية.. وتمثل ذلك قلقهم واهتمامهم الزائد" (أمين هويدي، حرب ١٩٦٧، ٧١).

×××××

« ٧ »

هل أثرت حرب اليمن على موقفنا العسكري عام ١٩٦٧؟

قواتنا المسلحة كانت كافية لمواجهة العدو في سيناء لولا خسائر الطائرات والمطارات
وجود قوات مصرية في جبال اليمن لم يكن خصما من قدراتنا العسكرية
دراسة علمية تؤكد أن حرب اليمن لم يكن لها دور كبير في انخفاض معدل الاستثمار وأن المديونية ا لخارجية "ظلت محدودة أو منعدمة"

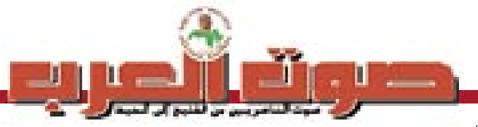
ضمن الانتقادات التي وجهت لجمال عبد الناصر شخصيا دعمه للثورة اليمنية ومساندته لها.. فعندما تقدمت مصر لمساعدة الثورة اليمنية في سبتمبر ١٩٦٢..

وتجمع كل الوثائق التاريخية على أن عبد الناصر لم يكن يحسب حساب مواجهة واسعة مع الحلف الرجعي الاستعماري على أرض اليمن.. فقد كان تقديره (الأولي) انها مساعدة لن تتعدى بضعة كتائب عسكرية " لتثبيت " الوضع لصالح الثورة اليمنية الناشئة ،ولم يكن يخطر بباله أن الحلف الرجعي العربي – الأمريكي سيعمل على تحويل الحرب في اليمن إلى حرب طويلة الأمد تستهدف استنزاف قدرات مصر العسكرية والسياسية..

وفيما يخص الجانب المتعلق بهزيمة يونيو ١٩٦٧.. نجد عددا كبيرا من العسكريين والسياسيين يعترض على هذه المساندة المصرية للثورة، فاللواء "طه المجدوب".. وهو أحد الذين شاركوا في حرب ١٩٦٧ وحرب أكتوبر عام ١٩٧٣ وأحد المفاوضين المصريين في مباحثات فك الاشتباك الأول والثاني ومعاهدة السلام المصرية "كامب ديفيد" نراه يقول في كتابه عن هزيمة يونيو ١٩٦٧: "أدى الدور الأمريكي الإسرائيلي ومساهمة الإتحاد السوفييتي (لا أعلم ما علاقة الإتحاد السوفييتي بحرب اليمن ..المؤلف) إلى جر مصر ودفعها نحو حرب خاسرة مخططة منذ سنوات، لم تكن مصر قد استعدت لها وخططت لقيامها.. حيث كانت الإمكانات العسكرية المتاحة والمحسوبة لا تسمح لمصر بالإدارة العسكرية الناجحة لأعمال القتال على جبهتين واسعتين ورئيستين، وتفصل بينهما مسافة حوالي ٣٠٠٠ كيلو متر من مياه البحر الأحمر بين سيناء شمالا واليمن جنوبا"

ثم يضيف: "من الناحية العسكرية أدت هذه الحرب إلى تشتيت قدرات قواتنا المسلحة.. بالإضافة إلى لذلك، فإن إختلاف مسرح العمليات والفرق الكبير بين سيناء الصحراوي واليمن الجبلي، فضلا عن اختلاف نوعية قوات الخصم والعناصر المتمردة التي قاتلتها القوات المصرية في جبال اليمن طوال خمس سنوات.. قد أثرت جميعها على الكفاءة القتالية للقوات والى تراكم مفاهيم عسكرية غير سليمة عن معركة الأسلحة المشتركة الحديثة.. وذلك نتيجة للخدمة الطويلة لكثير من الوحدات المصرية في مسرح اليمن.. وكان نظام غيار القوات العاملة بمسرح اليمن – الذي اتبعته القيادة العامة – قد اتاح لمعظم الوحدات المصرية فرصة الخدمة في اليمن لفترة طويلة نسبيا قبل تغييرها بوحدات مماثلة أخرى.. لقد اضطرت مصر إلى إرسال قواتها ورجالها لتحارب حربا قاسية بعيدا عن حدودها.. وتحملت ميزانيتها ولخمس سنوات كاملة أعباء ضخمة ونفقات كبيرة.. فضلا عما خسرته

القوات من أسلحة ومعدات ... " (طه المجدوب، هزيمة يونيو، حقائق واسرار، من النكسة حتى حرب الإستنزاف، ص ٤٩).
خريطة القوات وانتشارها بين سيناء وجبال صنعاء
والواقع أن ما قاله "اللواء" والمحلل السياسي الإستراتيجي "طه المجدوب" يبدو لي مخالفا للحقيقة ومبالغا فيه.. بل يبدو غريبا من قائد عسكري حضر وشاهد وشارك في معارك ١٩٦٧.. لماذا؟
أولا: أن هذا القول هو جزء من الحقيقة وليس الحقيقة كلها – كما يقول الأستاذ أمين هويدي - وزير الحربية المصري بعد الهزيمة.. حيث نراه يقول : "... من الطبيعي أن الحرب على جبهتين هو أمر يجب تجنبه، ولكن حجم قواتنا في اليمن لم يكن كبيرا مقارنة بحجم القوات التي حشدت في سيناء.. فقد كانت قواتنا في اليمن تتألف من:
- ٦ ألوية مشاة..
- مجموعة صاعقة..
- ثلاث كتائب مدفعية .
- وكان مجموع الإنفاق الشهري في الميزانية مليون وستمائة ألف ريال يمني.. وخصص لها في الميزانية السنوية مبلغ سبعمائة وخمسة وثلاثون ألف جنيه جنيه عملة حرة.. علاوة على خمسة ملايين و ٣٥١ الف جنيه حسابي..
بينما بلغ حجم قواتنا في سيناء بنهاية يوم ٤ يونيو / حزيران:
- أربع فرق مشاة..
- أربع ألوية مشاة مستقلة..
- فرقة مدرعة..
- أربعة ألوية مستقلة ..
- خمسة ألوية مدفعية..
- كتيبتان مدفعية صواريخ..
- صواريخ رئاسة عامة ..
- أربع كتائب صواريخ موجهة ضد الدبابات رئاسة عامة..
- ثلاث كتائب هاون رئاسة عامة..
- ثلاث كتائب استطلاع مدرعة..
- ثلاث كتائب صاعقة ..
- وكانت هذه أكبر من الخطة قاهر (وهي خطة الدفاع عن سيناء التي جرى الحديث عنها كثيرا).. وهكذا نرى ان حجم القوات المتاحة في سيناء كان أكبر مما تحتاجه الخطة.. بغض النظر عما كان موجودا.. وربما شاء الله وجودها هناك لكي لا تلقى مصير قواتنا في سيناء وتصبح رصيدا عزيزا ليستخدم بعد ذلك في تعزيز قواتنا بعد الهزيمة.. بعد ان أشرفت على انسحابها – حين كنت وزيرا للحربية.. وكذلك الغالبية العظمى من الدبابات والمصفحات كانت موجودة في مصر أيضا.. وإذا أمعنا النظر في ذلك كله نجد أن أغلب القوة الضاربة كانت تحت يد القائد العام للقوات المسلحة داخل أراضينا لتدريبها واستخدامها تبعا لتخطيطه للعمليات المستقبلية (أمين هويدي، خمسون عاما من العواصف، ص ٥١)
ثانيا: أن السبب المباشر لإنكسار القوات في سيناء كان بسبب التدمير السريع لقواتنا الجوية في اللحظات الأولى للمعركة.. وفقدان قواتنا البرية للحماية الجوية منذ اللحظات الأولى.. ووجود القوات التي كانت موجودة باليمن لم يكن ليغير كثيرا في نتائج المرحلة الإفتتاحية للقتال والتي بدأت بالضرب طائراتنا ومطاراتنا في الساعات الأولى لإندلاع القتال. فقد كانت كل قواتنا الجوية.. عدا عدد محدود منها.. كانت في قواعدها في مصر.. لم يعمل أحد على حمايتها بالدشم او الدفاع الجوي الذي كان كله في ارض الوطن.
ثالثا: ان كل من كتبوا عن الهزيمة وأسبابها لم يشيروا من قريب او بعيد إلى "نقص" في عدد قواتنا مقارنة بقوات العدو .. فلقد أجمع المحللون (المؤيدون والمنتقدون) ان أسباب الهزيمة تعود لأسباب أخرى غير نقص القوات: كسوء التخطيط وإرتجالية تحريك القوات وإنخفاض مستوى التدريب وعشوائية القرارات وتناقضها.. وخصوصا قرار الإنسحاب..
رابعا: ان الانتقاد الأساسي حول دور حرب اليمن في هزيمة يونيو ٦٧ ربما يعود إلى تأثيرها الاقتصادي على الجيش العامل في مصر.. وهناك كثيرون يذهبون إلى ان ميزانية حرب اليمن جاءت استنزافا لميزانية القوات المسلحة العاملة في الأراضي المصرية ذاتها (وأظن هذا ما يقصده اللواء طه المجدوب) .
وبغض النظر عن عدم توافر أرقام صحيحة تبين ميزانية حرب اليمن مقارنة بميزانية القوات المسلحة العاملة في مسرح العمليات.. لكن المؤشرات المنطقية تبين أن الأخيرة كانت من الضخامة العددية والتجهيزية والتسليحية.. الأمر الذي لا يستقيم معه القول ان قوات اليمن استنزفت إمكانيات القوات العاملة في مسرح العمليات في مصر..
خامسا: ان التعلل بحرب اليمن لم يكن يعني بحال من الأحوال انه صدر توجيه سياسي بأن التهديد من ناحية الشرق (أي في



مواجهة إسرائيل) قد تراجع لصالح التهديد القادم من القبائل اليمنية في الجنوب.
سادسا: تعلل كل قادة الهزيمة (المعزولين) بنقص الميزانية الموضوعة للقوات المسلحة خصوصا مع تخفيض حصة القوات المسلحة في ميزانية عام ١٩٦٦ / ١٩٦٧.. ولا يمكن القبول بهذا المنطق في تفسير عجز القوات عن تحقيق مهامها الموكولة لها.. لأنه كان يمكن توزيع النفقات على ضوء الأسبقيات الموضوعة تبعا لبرامج محددة بتوقيتات محددة لأن ميزانية القوات المسلحة هي في واقع الحال تعبير عن خطط عملياتها ولكن بطريقة رقمية.
فضلا عن أن تخفيض ميزانية العام السابق على الحرب مباشرة (٦٦ / ٦٧) لا يبرر أي إهمال في تسليح الجيش وتمويل عملياته في السنوات السابقة على هذا العام الأخير.. خصوصا في سلاح الطيران.

حرب اليمن والاقتصاد المصري

سابعا: ولعلها الفرصة الوحيدة في هذا الكتاب لمناقشة وتحليل دور حرب اليمن في الاقتصاد المصري أثناء الحقبة الناصرية.. فقد دارت أوهام وأساطير حول هذه الحرب.. وصارت هذه الأوهام والأساطير حقائق يقينية يرددها الكثيرون - سياسيون ومثقفون ومن العامة - بإيمان "ديني" مطمئن، دون أي شك في صحتها.. أو إسنادها للوقائع العلمية والاقتصادية!!
هي فرصتنا - إذن - لتصحيح هذه الأوهام والانتهاء من هذه الأساطير:
صحيح أن حرب اليمن كانت - شكلت عبئا - على الاقتصاد المصري.. ولكنها لم تصل إلى حد "إستنزاف" الاقتصاد أو تعويقه عن أداء مهامه التنموية.. بدليل نجاح الخطة الخمسية وتحقيقها أعلى معدل معدل نمو.. وقد جعل نجاح هذه الخطة الاقتصادية الأولى من مصر واحدة من أكبر خمس دول نامية في معدلات النمو الاقتصادي.
وتكشف الدراسة العلمية الوحيدة التي كتبت لتقدير آثار حرب يونيو ١٩٦٧ والتي قام بها الباحثان: الدكتور إبراهيم العيسوي و دكتور محمد علي نصار.. وهي دراسة معقدة ومبتكرة في نفس الوقت.. ورغم الانتقادات التي أبرزها الباحثان في استخدام فرضيات خيالية لمعرفة حجم الخسائر التي نجمت عن حرب يونيو.. فأننا في هذا المقطع نشير فقط لما جاء في هذه الدراسة فيما يتعلق بحرب اليمن وتأثيرها الاقتصادي مقارنة بتأثير حرب يونيو.. وهنا سنجد ان الباحثين يذكران في تقييمهما الإجمالي لدور حرب اليمن وتأثيرها على الاقتصاد المصري في الآتي:
أولا معدل الاستثمار الإجمالي:
تقول الدراسة في صفحة ١٣٥: "ربما يكون من المفيد مقارنة أثر حرب اليمن على معدل الاستثمار مقارنة بأثر الحرب العربية الإسرائيلية.. لقد كان الأثر "متواضعا" في الحالة الأولى (أي حرب اليمن) ولم يزد عن ١.٢ نقطة مئوية .. بينما كان المعدل ضخما في الحالة الثانية (حرب يونيو ٦٧) اذ انخفض المعدل إلى ٢.٤ نقطة مئوية عام ١٩٦٧... ففي حالة حرب اليمن كان الانخفاض في الإستهلاك الخاص مع الإرتفاع في عجز ميزان المدفوعات كافيا للحفاظ على معدل معقول للإستثمار بالرغم من ارتفاع نصيب الإنفاق العسكري (د. إبراهيم العيسوي، د. محمد علي نصار : محاولة لتقدير لتقدير الخسائر الاقتصادية التي ألحقتها الحرب العربية الإسرائيلية بمصر منذ عدوان ١٩٦٧، الاقتصاد المصري في ربع قرن ١٩٥٢- ١٩٧٧، المؤتمر السنوي الثالث للاقتصاديين المصريين، الهيئة المصرية للكتاب).
ثانيا: دور العوامل السياسية الخارجية:
في التعقيب على الدراسة السابقة يقول الدكتور "صقر أحمد صقر" وهو المعقب الرئيسي على دراسة العيسوي ونصار.. نراه يقول:
"... ان البحث ينتقل إلى مناقشة أو تزايد الإنفاق العسكري على معدل الاستثمار والذي اتجه إلى الانخفاض بقدر كبير بعد حرب ١٩٦٧ على عكس الحال مما حدث خلال حرب اليمن.. والواقع ان هذه النقطة تحتاج إلى تعليق: فمن ناحية نجد ان الظروف التي واجهتها مصر إبان حرب اليمن تختلف اختلافا كبيرا عن تلك التي أعقبت حرب ١٩٦٧ . فخلال حرب اليمن كانت المديونية المصرية للعالم الخارجي محدودة او منعدمة.. وبالتالي فإن الاعتماد المتزايد على القروض الأجنبية لتمويل الإستثمار كان له ما يبرره.. وفي نفس الوقت فإن الإدارة الأمريكية في عهد الرئيس كيندي بدأت في تلك الفترة تأخذ موقفا معتدلا من حركات التحرير الوطني في العالم الثالث.. وبالتالي فان المساعدات الأمريكية بدأت في التدفق على بلدان العالم الثالث ومن بينها مصر في تلك الفترة (أي من عام ١٩٦٣) وقد كانت هذه المساعدات هي العامل المسئول عن عدم انخفاض معدل الإستثمار خلال حرب اليمن. وقد ترتب على توقف المساعدات الأمريكية في أوائل عام ١٩٦٥ تزايد حدة المشكلات الإقتصادية التي واجهها الإقتصاد المصري خلال هذه الفترة المشار اليها".
والواقع أن تعليق الدكتور "صقر أحمد صقر" على دراسة العيسوي ونصار فيما يتعلق بأثر حرب اليمن على معدل الإستثمار تحمل تناقضات شكلية ينبغي إزالتها.. لماذا؟
لأنه يعترف: أولا.. أن حرب اليمن لم يكن لها دور كبير في انخفاض معدل الإستثمار وأن المديونية الخارجية : "ظلت محدودة أو

منعدمة".. وذلك عامل ايجابي يحسب للأقتصاد المصري في ظل الحقبة الناصرية.
ولكن "صقر" سريعا ما يعود: ثانيا.. لتفسير ذلك التأثير "الهامشي" لحرب اليمن على الإقتصاد المصري بسبب تدفق المعونات الأمريكية في ظل الإدارة الأمريكية من ١٩٦٣ حتى أوائل عام ١٩٦٥ ..ان هذا التفسير يقلل من قدرة الاقتصاد الناصري على امتصاص آثار حرب اليمن وقدرته على الإبقاء على معدل الإستثمار إلى حد معقول والإبقاء على المديونية الخارجية "محدودة أو منعدمة" (كما يقول "صقر") فهو يعترف ان هذه المعونات لم تستمر الا اقل من سنتين (من ١٩٦٣ حتى ١٩٦٥).. مع مقتل كيندي وتولي جونسون المتعاطف مع اللوبي اليهودي.. وإنها كانت في حدود المعونات الغذائية ... وهذا يعني.

استنزاف الجيش المصري

وهنا نلفت النظر القارئ أنه ينبغي حساب "التكلفة السياسية" للحرب الشاملة التي كانت تخوضها الولايات المتحدة ضد مصر وعبد الناصر.
أن هذه الإدارة كانت وراء "استنزاف" الجيش المصري في اليمن بالمشاركة مع النظام السعودي من خلال دعم وتمويل القبائل اليمنية المتمردة وعناصر المرتزقة التي تم تجنيدها للحرب ضد الدعم المصري للثورة اليمنية.. ان أي خيار سياسي له تكلفته الإقتصادية والبشرية دون شك
والخلاصة أن دراسة العيسوي ونصار وصقر (وهي الدراسة الاقتصادية الوحيدة المتاحة عن تكلفة الحروب المصرية في الستينات) تحسم كثير من الجدل "العشوائي" الذي دار حول آثار هذه الحرب على مصر اقتصاديا. ولكنه ان أثر حرب اليمن على مصر "اقتصاديا".. يبقى في كل الأحوال عامل "خارجي".. أي انه غير ناتج عن تشوه بنيوي في إدارة هذا الاقتصاد – وهو عقاب للاقتصاد الناصري بفعل نزعته الاستقلالية ورفضه التبعية الاقتصادية والسياسية للإمبريالية الأمريكية.. هذه الضغوط "الخارجية" لا تدين أبدا النظام الناصري ولا تقلل من أدائه التنموي موضوعيا .. بالعكس أنها ثنمن كثيرا من أدائه في ظل ظروف وتحديات خارجية وداخلية صعبة.
وفي النهاية...
لا يمكن - بحال من الأحوال- إقناع العقلية الإنعزالية في مصر (سواء مدنية أو عسكرية) بجدوى الخيار العربي والثوري لمصر الناصرية إذا لم تكن مقتنعة به أصلا .. وليس مطلوبا في هذه الدراسة التأثير على قناعات أحد.. بقدر ما هو مطلوب وضع الصورة بأكبر قدر من الموضوعية والعلمية.. ولا نستطيع في هذه "المحاكمات السياسية" الا نعطي الصورة من خلال الدراسات العلمية المتاحة لنا " كدراسة "اقتصادية" وحيدة"
وهي كافية في رأينا – من خلال الباحثين الأساسيين والمعقب الرئيسي – للرد على كثير مما أثير حول الآثار الاقتصادية لهذه الحرب.

××××

«٨»

لماذا إختارت إسرائيل
يوم الخامس من يونيو لبدء الحرب؟

خلاف حاد بين موشي دايان ورئيس الاستخبارات حول موعد الهجوم على الجيش المصري
خطة خداع اسرائيلية بدبابات من الكرتون لجذب قواتنا من الشمال إلى الجنوب

"الهاماتان".. بركات الإنتظار

لقد ثار جدل كبير حول تحديد تاريخ الخامس من يونيو لبدء العدوان على البلاد العربية.. وقد فسرت معظم المراجع أختيار القيادة الإسرائيلية يوم الخامس من يونيو ميعادا للضربة العسكرية بسبب رغبة القيادة السياسة – وبشكل خاص رئيس الوزراء ليفي أشكول المتردد – إنتظار عودة رئيس المخابرات "مائير آميت" من واشنطن بتأكيدات عن موافقة واشنطن على الضربة الإستباقية ووقوفها مع اسرائيل في حال تدخل السوفييت في القتال..

عن مواقف الطرف الأمريكي في اللحظات الأخيرة قبل الضربة يقول "ميشيل أورين":

رغم أن "جونسون" كان محتفظا باحساس اكيد ان الاسرائيليين سوف يتصرفون من تلقاء انفسهم. لكنه ظل مصمما على كسب اكبر وقت للديبلوماسية. وكخطوة مناظرة لزيارة "زكريا محيي الدين" لواشنطن – التي كان مزمع القيام بها يوم ٧ يونيو – طلب جونسون إلى "هاري ماكفيرسون" مستشار البيت الأبيض التوجه إلى اسرائيل في يوم ٥ يونيو.. كما خوله بعقد لقاءات صريحة عالية المستوى مع مبعوث أشكول للبيت الأبيض "مائير آميت"..

... كان ياميت قد ساعد رابين وياكوف هيرتزوج في صياغة التحذيرات الموجهة إلى "أبا إيبان" وهو في واشنطن، وكان مقتنعا أن على اسرائيل أن تتصرف على الفور وما أن تخوض الحرب حتى تربحها.. وطمأن "أشكول" اذا بدأ عبد الناصر الضربة الأولى، فهذا يعني انه انتهى " (!!)

كان "أميت" معروفا تماما في واشنطن.. وكانت اتصالاته مع السي آي أيه " (المخابرات الأمريكية) خصوصا مع "جون هادن" رئيس مكتب تل أبيب في وكالة المخابرات الأمريكية.. وكان هادن قد أيقظ "أميت" في بداية الأزمة الساعة ٢.٣٠ صباحا ليحذره قائلا: ان أطلقتم الرصاصة الأولى. فذلك شأنكم وانتم المسئولون وحدكم".

كانت مهمة "أميث" الأولى هي التأكيد على التمسك بهذا التحذير. ومهمته الثانية هي اقناع الأمريكيين بأنه "لو سمح لإسرائيل ان تقوم بالعمل القذر قبل عشرة ايام لما كان هناك خطر من تورط الولايات المتحدة الأمريكية.. أما الآن.. اذا لم تشن

اسرائيل الحرب.. فان الولايات المتحدة هي التي ستشنها لإنقاذ ما يتبقى من الشرق الأوسط".
وسيقول "أميت" اسرائيل لا تريد ان يحارب الامريكيون عنها. فهنا ليست فيتنام، بل تريد فقط منع السوفييت من التدخل.. وتقديم الدعم السياسي لاسرائيل في الامم المتحدة.. وارسال شحنات اسلحة على وجه السرعة.
كان "أشكول" يقلل من مهمة "أميت" واصفا اياه باليديشية "فانتو فلاش" (شبشب منزلي) لكن الرسالة التي حملتها مهمته كانت خطيرة: دم اسرائيل في رقبة أمريكا.
استاء "أميت" لدى مغادرته اسرائيل متخفيا في ٣١ مايو / آيار.. اذ وجد على متن طائرته عددا من الشخصيات الإسرائيلية البارزة الذين كانو هاربين (!!) على ما يبدو.
التقى "أميت" في واشنطن "بجيمس عيسى أنجلتون" ضابط الإرتباط مع المخابرات الإسرائيلية منذ زمن طويل بحيث صار يعرف: "أعظم صهيوني في السي آي إيه".
كان "إنجلتون" - في نظر آميت - أكثر رغبة في القتال من كل جنرالات اسرائيل.. اذ كان يصر على ان السوفييت كانوا يخططون لهذه الأزمة منذ سنين.. وكان يرى أن "جونسون" يجب أن يرحب (سرا) بأي مبادرة اسرائيلية تؤدي إلى احباط السوفييت وخططهم.
بقي "لآميت" اجتماع واحد مع ثلاثين خبيرا في شئون الشرق الأوسط.. الذين فتحوا دفاترهم على تقديراتهم للقوات العربية وتبين انها تتفق كليا مع تقديرات اسرائيل.
لكن النقاش الجوهري كان هناك.. مباشرة مع ماكنمارا.
يعرف "ماكنمارا".. وكان استاذا سابقا في كلية الأعمال في جامعة هارفارد.. ورئيسا لشركة فورد.. ومهندس التورط الأمريكي في فيتنام.. يعرف بسلوكه البارد وتصرفه المنهجي.
استقبل "ماكنمارا" رئيس الموساد "آميت" بقميصه دون ربطة عنق ودون معطف.. وكان استقبالا حارا.
وتبين سجلات "آميت" ان الرئيس جونسون جاء إلى الإجتماع مرتين.. وكان كل مرة يحاط علما بما جرى فيه.. واستنتج رئيس الموساد ان الرئيس الأمريكي ووزير دفاعه لم يقولا بصراحة لإسرائيل: "لا تذهبي للحرب"
لكن "ماكنمارا" اعترض فيما بعد على هذا الإستنتاج قائلا: "لا أصدق انه كان يعتقد ذلك.. فنحن ضد الضربة الإستباقية بصورة مطلقة.. كنا نخشى ان الضربة الإستباقية ربما تؤدي بالضرورة - بتحريض من السوفييت - على تدخل أمريكي لإنقاذ اسرائيل".
سيعود "أميت" من واشنطن مقتنعا ان اسرائيل لم تكسب شيئا من الإنتظار.. ماعدا مضاعفة خسائرها. (ميشيل أورين، ستة أيام من الحرب، مصدر سابق، ٢٨٣ - ٢٨٤)
وقد اختلفت التقديرات الغربية في تقييم موقف واشنطن من الضربة الإستباقية.. فبينما يرى "أورين" ان واشنطن لم تكن موافقة على فكرة الضربة استباقية وأن وزير الخرجية "راسك" لم يعط "آميت" اي ضمانات أمريكية لعمل عسكري.. بينما يرى "آفي شلايم" ان الولايات المتحدة "أعطت اسرائيل الضوء الأخضر من أجل القيام بعمل عسكري ضد مصر" (آفي شلايم، الحائط الحديدي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٨)
وسيعود "أميت" إلى بلد مختلف اختلافا كبيرا عن ذلك الذي غادره قبل ثمان واربعين ساعة.. اذ بدأ جو الهلع يتبدد ويحل محله احساس متنام بالإتزان ورباطة الجأش.. ان لم يكن احساسا من الثقة.. ففي الجيش، بدأ الجنرالات يعتبرون ان فترة الإنتظار (الهاماتانا باللغة العبرية) مزيجا من البركات.. اذ اتاحت للمصريين فرصة توضيع قواتهم في خطوط متقدمة التي ستترك سيناء مكشوفة لا يمكن الدفاع عنها - في حال اختراقها-.
كما ان سلاح الجو المصري قد أخذ مواقع متقدمة شرقا بحيث اصبح على مرمى القاذفات الإسرائيلية.. وفي هذه الثناء استخدم الجيش الزمن المتاح له لإستكمال خطته الهجومية وتدريب القوات عليها وتوضيعهم في المكان المناسب.. اما التنقلات الإضطرارية التي يشتكي منها شارون فقد انتهت.. وقال أحد ضباط المخابرات وهو "شلومو ميروم": لقد ثبت الجيش وأغلق عليه ولم يبق الا ضغط الزناد " (ميشيل أورين، مصدر سابق، ص ٢٨٥).
وبعد عودة "آميت" تم اجتماع مع مجموعة المستشارين في منزل رئيس الوزراء يوم ٣ يونيو (قبل الحرب بيومين) وقد آشار "آميت" إلى ان الأمريكيين يرحبون بضربة اسرائيلية مستقلة لتحطيم ناصر.. ومع ذلك فقد اقترح أميت على نحو يثير الدهشة - كما يقول آفي شلايم من خلال الوثائق الإسرائيلية - الإنتظار لمدة اسبوع من أجل توفير سبب للحرب من خلال ارسال سفينة عبر المضايق (توقعا لرد فعل مصري ضدها) ولكن ديان رفض الإنتظار يوما أو يومين.. كان في ذهن "آميت" الباخرة "دولفين" الراسية في ميناء ماساوا في اثيوبيا ومحملة بما قيمته تسعة ملايين دولار نفطا، عند هذا الحد "أنفجر" دايان - الذي كان حتى هذه اللحظة صامتا - في اللحظة الي سنرسل فيها سفينة عبر مضائق تيران سيعلم المصريون أننا على وشك الهجوم وبالتالي سيهاجموننا.. ونخسر أرض اسرائيل.. من الجنون المطلق ان ننتظر" (!!)
تراجع "آميت" و"هارمان" عن اقتراحهما بارسال سفينة عندما صم آذانهما هذا الإنفجار "الداياني".. ومنذ هذه اللحظة

وحتى نهاية الإجتماع قبيل الفجر أخذ دايان زمام ادارة الحديث يوجهه حيث يشاء.. وقدر للمجتمعين أنه في غضون ساعة او ساعتين يكون سلاح الجو الاسرائيلي قد حقق اهدافه الكبرى.. وتكون القوات البرية قد حققت اهدافها الكبرى في اليوم الأول.. وفي اليوم التالي نكون في طريقنا للقناة.. ولن يكون لدى مصر سلاح طيران إلى مابعد نصف سنة على الأقل"

في غضون يومين من التحاق دايان بالحكومة وزيرا للدفاع استطاع ان يسيطر على القرار الاسرائيلي ويوجهه نحو الحرب بصورة حتمية (ميشيل اورين، مصدر سابق، ٢٠٠)

وفي اليوم التالي (الأحد ٤ يونيو) أجتمع مجلس الوزراء بأكمله.

كانت هناك اعتراضات في مجلس الوزراء، اذا استشهد "حاييم موشى شابيرا" بقول "لبن جوريون" ان اسرائيل لا تستطيع أن تذهب لحرب بدون حليف(!!)

فقاطعه دايان: "فليذهب بن جوريون ويبحث لنا عن حليف.. لست متأكدا اذا كنا سنظل أحياء"!!

أما زوراخ وارها فتيغ - وزير الشئون الدينية - وهو رجل يتمتع بموهبة قانونية فقد قال "خير لنا ان نفقد بحارا أو أثنين من أن يلقي باللوم على اسرائيل في شن الحرب..

وهنا رد "إيجال ألون": "سوف يدينونا.. ولكننا سنبقى على قيد الحياة" !!

ولم يبق بعد ذلك الا التصويت : صوت اثنا عشر لصالح الحرب وعارض أثنان

وهنا كتب " دايان " مسودة القرار.. كان قرارا قصيرا بسيط اللهجة خاليا من العواطف :

" بعد سماع التقارير حول الوضع العسكري والديبلوماسي من رئيس الوزراء ووزير الدفاع ورئيس الأركان ورئيس المخابرات، انتهى مجلس الوزراء إلى ان جيوش مصر وسوريا والأردن قد انتشرت للهجوم على اسرائيل من جبهات عديدة الأمر الذي يهدد وجود اسرائيل.. لذلك قرر مجلس الوزراء القيام بضربة استباقية تهدف إلى تحرير اسرائيل من الطوق المحيط بها ومنع وقوع الهجوم الوشيك الذي ستشنه القيادة العربية الموحدة ".

وترك توقيت العملية إلى دايان ورابين . وكلاهما كانا تواقين لبدء الهجوم بأسرع ما يمكن وقبل ان تدخل القوات العراقية الأردن وقبل ان يعبر الفدائيون المصريون الضفة الغربية عن طريق الأردن . وهكذا تقرر ان تكون ساعة الذروة في الخامس من يونيو (حزيران) ١٩٦٧ بين الساعة السابعة والسابعة والنصف.

لماذا الخامس من يونيو بالذات؟

كان اختيار يوم الخامس من يونيو موضوع خلاف في الكتابات الإسرائيلية الجديدة المتعلقة بوقائع هذه الحرب.. فبينما يرى "توم سيجف" و"عامي جلوسكا" ان الظروف القهرية كانت سياسية وليست عسكرية.. وهي تلك المتمثلة في انتظار تحديد الموقف الأمريكي من الحرب.

هناك طرح جديد تم الكشف عنه مؤخرا في الذكرى الأربعين للحرب للمرة الأولى.. وهو طرح يتبناه المؤرخ "أريبه يتسحاقي".. وهو أحد افراد شعبة كتابة التاريخ التابعة للجيش الإسرائيلي.. والذي ركز أبحاثه في موضوع معارك الحرب في الجنوب.

يقول يتسحاقي: "هذه هي المرة الأولى التي ينشر فيها السبب الحقيقي وراء تحديد يوم الخامس من يونيو لبدء حرب الأيام الستة.. وفي مقابل الطرح الذي كتبه الدكتور " عامي جلوسكا " في كتابه " إشكول تين بيكودا " (إشكول اعط الأمر!) والصحفي والمؤرخ " توم سيجف " (من مجموعة المؤرخين الجدد المراجعين) مؤلف كتاب " ١٩٦٧ فيهاآرتس شينتا إت بانيها " (١٩٦٧ الأرض التي غيرت وجهها) اللذان يعتقدان ان الجانب السياسي المتمثل في تأييد الولايات المتحدة الامريكية هو الذي حدد موعد الحرب في الخامس من يونيو . فالمسألة ببساطة أن إشكول رئيس الوزراء الإسرائيلي انتظر عودة " عاميت " رئيس الموساد من واشنطن يوم السبت الثالث من يونيو حتى يعرف موقف الولايات المتحدة من الوقوف إلى جانب إسرائيل.

ويضيف "يتسحاقي" والسبب الثاني : أن الجيش الإسرائيلي كان لايزال في حاجة إلى أداء استعداداته.. وتكمن قصة رائعة ومثيرة لم تنشر حتى اليوم وراء تلك الصيغة المبهمة وراء تأجيل الهجوم على مصر إلى الخامس من يونيو . انها قصة تلك العملية الخداعية الرائعة التي نجحت في حسم مصير المعركة على الجبهة المصرية قبل أن تطلق قذيفة واحدة.

معلومات غير صحيحة وعملاء مزدوجون

يقول " يتسحاقي " : " فاجأت استعدادات الجيش المصري في سيناء في الفترة بين ١٦ و ٢٣ مايو ١٩٦٧ استخبارات الجيش الإسرائيلي.. وكانت تقديرات الإستخبارات العسكرية – بعد الدروس المستفادة من عملية قادش (حرب ١٩٥٦) أن المصريين سيقومون بنشر كل قواتهم في القطاع الجنوبي بين منطقتي القصيمة والكونتيلا.. وهو القطاع الذي بدا كأنه القطاع الأضعف..

ولكن على خلاف التوقعات ركز الجيش المصري معظم قواته في مواقع متقدمة من سيناء في مناطق رفح والعريش وجبل المرارة وبير الحسنة وأبو عجيلة.

يكمل "يتسحاقي" روايته فيقول: فضلا عن ذلك فإن القوات المصرية الرئيسية المخصصة للقيام بالهجوم المضاد من ناحية قطاع غزة.. وهي المجموعة التي كانت تحت قيادة الشاذلي على أهبة الاستعداد عند مدخل رفح . لذلك تم تركيز الجهد الرئيسي للجيش الاسرائيلي في القطاع الجنوبي . الا انه بعد دخول القوة الرئيسية للمدفعية المصرية – الفرقة الرابعة – إلى المليز في الجنوب في ٢٤ مايو.. تقرر الهجوم على مواقع متقدمة في سيناء.

ولكن في هذه اللحظة ظهرت مشكلة: فلقد انتشرت قوة مصرية كبيرة لتواجه قوة الإقتحام الرئيسية التابعة للجيش الإسرائيلي آنذاك وهي فرقة "إسرائيل تال".

لذلك أصبح من الضروري تنفيذ عمليات خداع تجعل القيادة المصرية تتحرك لتجعل قواتها في الجنوب بعيد عن قوات الجيش الإسرائيلي. كانت تلك هي العملية المتقنة التي اشتملت فيما اشتملت عليه، تحريك الفرقة ٤٩ بقيادة العقيد " شلومو أمبير " في منطقة الكونتيلا بغرض خداع المصريين.. هذه الفرقة "الوهمية"

استخدمت دبابات رائعة من الكرتون واقامت معسكرات خاوية من الجنود في القطاع الجنوبي (!!!!)

وقامت فرقة " آرييل شارون " بتحريك قوات كبيرة خلال ساعات النهار ناحية الجنوب واعادتها مرة اخرى ناحية الشمال خلال فترة الليل مستعينة باضواء خافتة (!!!).. كما تم تسريب معلومات كاذبة من خلال عملاء مزدوجين من أجل خلق انطباع بأن الجهود الأساسية للجيش الإسرائيلي ستتركز في منطقة الجنوب "

وعلى حد قول " يتسحاقي " فإن هذه المناورة الخداعية انطلت على المصريين.. يقول " يتسحاقي " : لقد غيروا استعداداتهم وحركوا ثلاث فرق عسكرية من أفضل فرق المشاة وجميع وحدات المدفعية المقاتلة إلى القطاع الجنوبي . وفضلا عن ذلك.. فإنه مع بداية عملية التضليل والخداع بدأ المصريون في الثامن والعشرين من مايو في دعم مكثف وحثيث للمحور الجنوبي من قلعة " نخل " حتى منطقة الكونتلا والمنطقة بين الكونتيلا والقصيمة.. وانتشرت على المحور الجنوبي الفرقة السادسة مشاة وانتشرت مجموعة ياقوت (عبارة عن لواءين من المشاة و ٤٥ دبابة و ٧٢ مدفعا) ومجموعة الشاذلي شمال المحور الجنوبي.

وقام المصريون خلال الأيام التي سبقت بداية الحرب بنقل تشكيلات أخرى من المدفعية ناحية المحور الجنوبي . منها على سبيل المثال ان الفرقة الرابعة مدفعية بدأت في التحرك ليلا ناحية الجنوب في الفترة بين الثاني والثالث من يونيو . وكان من الواضح ان هذه القوات لن تصل إلى المنطقة الجديدة قبل السادس من يونيو . ونتيجة لهذ التحركات أصبح وضع الجيش المصري في غاية الخطورة . فبينما كان في المنطقة الرئيسية التي ستتعرض للهجوم (يقصد المحور الشمالي) نحو ٣٨٠ دبابة اسرائيلية كان للمصريين ٨٢ دبابة فقط ... وفي القطاع الجنوبي انتشرت ٦١ دبابة للجيش الاسرائيلي تابعة للواء الثامن الإسرائيلي تواجه معظم القوة الضاربة للمدفعية المصرية التي كانت تضم ٤٥٠ دبابة والتي لم تكن مستعدة للهجوم بعد.

وهكذا وقعت القوات المصرية للخديعة والتطويق في المراحل الأولى من القتال.

ويضيف "يتسحاقي" مؤرخ الجيش الإسرائيلي: "وحسب المعلومات التي توافرت لدينا فإن هذا الوضع اسفر عن حالة من الفوضى اللوجستية في سيناء عقب التحرك الضخم للقوات المصرية . لقد فقدت القيادة المصرية السيطرة على قواتها المتحركة إلى مناطق الاستعداد الجديدة وأوشكت هذه الفوضي على الوصول إلى ذروتها في يوم الخامس من يونيو ... وهنا قرر رئيس الأركان رابين أن هذا هو التوقيت المناسب لتنفيذ العملية (يقصد الهجوم) لذلك طلب الهجوم يوم الأثنين الخامس من يونيو.. وتم قبول توصيته "

(هذا المقال منشور في يديعوت آحرانوت يوم ٥ يونيو ٢٠٠٧ (الذكرى الأربعون للحرب) وقامت بترجمته مجلة مختارات اسرائيلية عدد يولية ٢٠٠٧، وهي تصدر عن مركز الدراسات الإستراتيجية بالإهرام، ص ١٢٢- ١٢٣).

لغز الحشود الإسرائيلية على الجبهة السورية !!

إعادة تركيب الصورة:

الجديد الذي تكشف عنه هذه المقالة للمؤرخ العسكري للجيش الإسرائيلي.. هو : استخدام تكنيك الدبابات الكرتونية وعمل معسكرات خاوية من الجنود لإعطاء الإنطباع بوجود حشد عسكري مكثف في مكان معين لخداع استخبارات الخصم وايهامها بحشد (زائف طبعا) وتحويل انظارها عن الجبهة الحقيقية التي سيتم الهجوم عليها . وهو التكنيك الذي استخدمته الفرقة ٤٩ بقيادة العقيد " شلومو أمبير ".. وهي فرقة وهمية كانت تتركز في الجبهة الجنوبية عند الكونتيلا.

كما تكشف هذه المقالة عن تكنيك آخر للخداع عبر سحب الحشود العسكرية ليلا في ظل الأضواء الخافتة وتركيزها في اماكن ثانية.. وهو مافعلته القوات التي كان يقودها " آرييل شارون " في قطاع الجنوبي واعادتها ليلا إلى الجبهة الشمالية.

×××××××

((٩))

ألغاز الضربة الجوية الإسرائيلية..
الخطة "فوكس" الرواية الإسرائيلية!

ما هو سر القنبلة التي استخدمتها "إسرائيل" لضرب الممرات الأرضية في المطارات المصرية؟ برقية "عجلون" بالأردن التي كشفت تحركات الطيران الإسرائيلي لم تصل لمصر لأن الشيفرة تغيرتقبلها بيوم

يذكر ميشيل ب. اورين في كتابه "ستة أيام من الحرب" تفاصيل الضربة الجوية على النحو التالي (قمت بأختصار ما كتبه من تقييمات تدخل في باب التباهي.. ص.ح): "بدأت الحرب في الساعة السابعة وعشر دقائق صباحا بتوقيت إسرائيل، عندما أقلعت ست طائرات نفاثة من طراز ماجيستير فوجا (Magister Fouga) فرنسية الصنع من مطار "حاتزور".. كانت هذه الطائرات تبث على ترددات تستخدمها طائرات الميستير والميراج النفاثة.. وانطلقت محاكية ذلك الطراز من الطائرات في طلعة من نمط الدوريات الروتينية.. وبعد اربع دقائق أقلعت المقاتلات الحقيقية من قاذفات " أوراجان " من مطار " حاتزور ".. وتبعها بعد ذلك بخمس دقائق سرب من طائرات الميراج من مطار " رامات ديفيد " وخمس عشرة طائرة من ذات المحركين من طراز " فاتور " من مطار " هاتزريم ".. وما أن حلت الساعة السابعة والنصف كان في الجو ما يقرب من ٢٠٠ طائرة مزودة بأوامر قائد سلاح الجو " موتي هود " صبيحة هذا اليوم : ... حلقوا نحو العدو ودمروه وبعثروه في طول الصحراء وعرضها حتى تعيش إسرائيل آمنة في أرضها لأجيال"

× انطلقت الطائرات على ارتفاع منخفض لا يزيد على خمسة عشر مترا لتلافى اكتشافها من مواقع الرادارات المصرية البالغ عددها ٨٢ موقعا. انعطفت غالبية الطائرات نحو الغرب باتجاه البحر الأبيض المتوسط قبل ان تستدير عائدة في اتجاه مصر. وانطلقت طائرات اخرى باتجاه البحر الاحمر نحو اهداف في عمق الداخل المصري. روعي صمت أجهزة اللاسلكي مراعاة صارمة. وحصرت الاتصالات بإشارات من الأيدي فقط حتى عند عبور ممرات الطيران.. وقد حذر رئيس عمليات سلاح الجو الاسرائيلي طياريه انه اذا حصل عطل ميكانيكي فينبغي ألا ترسل إشارات طلبا للمساعدة. بل على الطائرة المعطلة ان تسقط في الماء.

× كان لأولئك الطيارين ميزات كبرى. فقد كانوا أفضل تدريبا من أعدائهم المصريين. وحققوا أزمنة طيران أطول. وكانت غالبية طائراتهم ال ٢٥٠ (٦٥ ميراج و ٣٥ سوبر ميستير، ٣٥ ميستير مارك IV و ٥٠ طائرة اوراجان و ٢٠ قاذفة خفيفة من طراز فاتور و ٤٥ من طراز فوغاس) كلها تعمل. وقد قامت بتدريبات على العملية " فوكس " (Focus) بصورة متكررة. تنفذها على خرائط تحاكي المطارات المصرية تحت ظروف سرية تماما. لم يكن يعلم بالخطة سوى بضعة وزراء، في حين أن معظم أعضاء هيئة الأركان العامة لم يتسلموا سوى موجز من صفحة واحدة فقط. ومن جهة أخرى كانوا يعرفون الكثير عن الاهداف المصرية، مربض كل

طائرة نفاثة مصرية مع اسم ملاحها ورتبته وحتى صوته(!!)

× كانت الخطة، التي تتطلب عشرات الأسراب من الطائرات تنطلق من قواعد مختلفة لتلتقي بصمت على احد عشر هدفا في غضون ٤٥ دقيقة طيران، أشبه بمتاهة في تعقيداتها وفائقة الخطورة، فقد زج في الهجوم جميع سلاح الجو الإسرائيلي ماخلا أثنتي عشرة طائرة نفاثة، اسماها انصار كرة القدم الإسرائيليون " السلام المريخي " (Hail Marry) تاركة أجواء البلد بلا دفاعات عمليا (!!)

× اقتنع قادة سلاح الطيران الإسرائيلي، بعد تدريبات لا حصر لها، أنه يمكن تدمير القوة الجوية المصرية حتى وان افلحت في الإقلاع من مدارجها في غضون ثلاثة ساعات،ومع ذلك ظلت الشكوك تساور رابين، حتى أنه اصدر أوامره لوحدات " كوماندوز " بالإستعداد للقيام بهجمات ليلية على المطارات المصرية في حال فشل الخطة "فوكس" (Focus).

× كان رابين ودايان ينتظران مع ويزمان في مقر القيادة ومعهم قائد سلاح الجو "القلق" هود الذي تقع على عاتقه المسئولية المباشرة. قال "هود فيما بعد": شعرت بالخمس والأربعين دقيقة الأولى وكأنها يوم كامل ". كان " هود " ذلك الرجل النحيل الصموت، من سكان الكيبوتزات سابقا، قد نجح في الماضي في تهريب ناجين من الهولوكست الى فلسطين بعد الحرب العالمية الثانية، كما نجح قبل حرب الإستقلال في تهريب طائرة "سبت فاير" (Sept Fire) بريطانية. واكتسب في معارك ١٩٤٨ و ١٩٥٦ شهرة بأنه طيار ماهر ورابط الجأش، وكان مشهورا بدهائه وسعة حيلته أكثر من شهرته بالذكاء والألمعية وكانت رغبته الجامحة أن يعود يوما للزراعة. ولكن وايزمان أصر على أن يحل محله كرئيس لسلاح الجو الإسرائيلي منذ اوائل عام ١٩٦٦.

× ومنذ ذلك الحين وهو منهمك في تنقيح الخطة "فوكس" مقلصا زمن العودة لتزويد الطائرة بالوقود والسلاح الى ثماني دقائق، في حين كانت تلك العملية تستغرق عند المصريين ثماني ساعات. قال وايزمان لهود : أنه لا يستطيع الإستشهاد بالشاعر العبري " بياليك " أو " بشكسبير "، لكنه سوف " يخوزق " العرب بالعبري الفصيح (!!). كان وايزمان لا يأبه كثيرا بالمعارك البرية، اذ كان اهتمامه الأساسي سلاح الجو والخطة " فوكس " التي ساعد في وضعها، وقال بشأنها : منذ خمس سنين وأنا أتحدث عن هذه العملية وأشرحها وأبرزها للوجود وأحلم بها وأصنعها حلقة حلقة وأدرب الرجال على تنفيذها. والآن في غضون ربع ساعة سنعرف ما إذا كانت مجرد حلم أو إنها حقيقة واقعة ". (ميشيل أورين، مصدر سابق، ص ٣٢٧)

× كان وايزمان يرقب الوقت والعرق يتصبب منه ويفرغ اباريق الماء في جوفه كأنه جسم " مشع هائل ". وكان " هود " ينتظر أخبار الموجة الأولى من الهجوم. لقد عبرت التشكيلات الرائدة البحر. وقد نجحت بفضل استخدام أجهزة تشويش إليكترونية بالإفلات من اكتشاف السفن السوفياتية لها.

× كان توقيت الخطة " فوكس " ان يتم الهجوم على المطارات المصرية بعد انتهاء الجولات الدوريات الروتينية التي يقوم بها الطيارون المصريون والتي تنتهي مع شروق الشمس ويعود طياروها حوالي الثامنة والربع بتوقيت مصر أي السابعة والربع بتوقيت إسرائيل، حيث يبدأ الهجوم في الوقت الذي يكون الطيارون المصريون يتناولون طعام الإفطار.(!!)

× لم يكن في الجو سوى أربع طائرات تدريب غير مسلحة ، كما أقلعت من مطار ألماظة طائرتان " أليوشن -١٤ على متن احداهما المشير عامر وقائد سلاح الطيران صدقي محمود وعلى متن الثانية نائب الرئيس حسين الشافعي وبصحبته رئيس وزراء العراق ومستشار عسكري سوفياتي رفيع المستوى.

× وبقية قيادات الجيش إما كانوا على متن هاتين الطائرتين أو على أرض القواعد في انتظار هبوطهما. فعندما لاحظت الطائرات الإسرائيلية على شاشات الرادارات وجود طائرات " إليوشن " ساورهم الخوف من إكتشاف أسرابهم المقتربة.

× صدر إنذار بوجود طائرات إسرائيلية في الجو، ولكن ليس من القاذفتين المصريتين اللتين أخذتا تعلوان الى ارتفاعات تطوافية استكشافية بهدوء، بل جاء الإنذار من محطة عجلون. كانت المحطة الرادارية الأردنية المقدمة من بريطانيا، والمنشأة على جبل عجلون أكثر المحطات تقدما في الشرق الأوسط. ففي الساعة الثامنة والربع رصعت شاشات الرادار فجأة بصور طائرات. وعلى الرغم من الأردنيين يألفون رؤية وجود أعداد من الطائرات الإسرائيلية المتجهة الى البحر، إلا أن عدد الطائرات اليوم قد فاق التوقعات ولم يسبق له مثيل (!!).

× أرسل الضابط المناوب اشارة لاسلكية مرمزة (عنب. عنب. عنب) وهي كلمة تعني الحرب بالشيفرة المتفق عليها. أرسلت الإشارة الى مقر قيادة الجنرال عبد المنعم رياض في عمان، فحول رياض الإشارة بدوره الى وزير الدفاع شمس بدران في القاهرة وبقيت هناك بدون فك شيفرتها ، إذ كان المصريون قد غيروا ترددات شيفرتهم في اليوم السابق دون أن يخطروا الأردنيين(!!)

× والإسرائيليون أيضا غيروا شيفراتهم بحيث جعلوا المراصد في " عجلون " تتساءل هل هذه الصورة التي ظهرت على شاشاتها هي طائرات سلاح الجو الإسرائيلي أم طائرات في البحر. وكانوا يراقبون، عندما أظهر الرادار فجأة ان الطائرات تحولت الى الشرق بإتجاه سيناء، فأبرقوا بالكلمة المرمزة مرارا وتكرارا.(!!)

× وفي الساعة السابعة والنصف بتوقيت إسرائيل شوهدت الأهداف الأولى من الطائرات المصرية رابضة في ساحاتها في صفوف ضمن سواتر دائرية في قاعدتي فايد وكبريت – مثلا – حيث قدرت المخابرات المصرية خطأ ان هذه المطارات خارج مدى الطيران الإسرائيلي. وكان لا يوجد في كثير من المطارات سوى مدرج واحد، فإن أغلق فإن الطائرات التي من المفروض ان تضربه تكون قد

حكم عليها بالفناء(!!)

× أما في الجو فقد كانت الرؤية رائعة وكان عامل الريح يقارب الصفر وكانت الظروف مثالية للهجوم. هنا حلقت الطائرات الإسرائيلية بسرعة هائلة الى ارتفاعات بلغت تسعة آلاف قدم كاشفة نفسها للردارات المصرية، الأمر الذي جعل الطيارين المصريين يهرعون الى مدارج الطائرات متزاحمين بالمناكب. ولكن قلة منهم سيصلون الى طائراتهم.

× انقضت الطائرات الإسرائيلية، وإقتربت من أهدافها بتشكيلات رباعية. وهاجمت بتشكيلات ثنائية.. تنجز كل طائرة منها ثلاث جولات – أو أربعة إن سمح الوقت – الهجمة الأولى للقصف.. والبقية للهجوم المباشر.. وأعطيت الأولوية في الهجوم لقصف المدارج.. ثم قصف القاذفات بعيدة المدى التي يمكن أن تهدد المدن الإسرائيلية.. ثم يأتي من بعد قصف المقاتلات النفاثة من طراز الميج. وآخر مايقصف هو الصواريخ والردارات ومنشآت الدعم.

× وقدر أن تستغرق كل هجمة من سبع الى عشر دقائق.. وتستغرق رحلة العودة عشرين دقيقة.. والتزود بالوقود ثماني دقائق (!!) واستراحة الطيار عشر دقائق.. وبالتالي تعود الطائرة للعمل ثانية بعد ساعة (!!). وأثناء هذه الساعة يجب ان يستمر قصف القواعد المصرية دون انقطاع من الطائرات الأخرى.

لغز قنبلة الممرات!

× ظل لغز القنبلة التي كانت تقذفها الطائرات الإسرائيلية على المدارج المصرية محل دهشة العسكريين المصريين لفترة طويلة.. بل أن قادة الطيران المحاكمين تعللوا أثناء محاكماتهم بقصور المعلومات التي أتاحتها لهم المخابرات الحربية عن هذا النوع الجديد من القنابل.

× وقد كشف ميشيل أورين في كتابه عن " لغز " هذه القنبلة.. فقد كانت هذه القنبلة من نوع " دوريندال " (**Durendal**) هو نوع سري جدا تم تطويره بالإشتراك مع الفرنسيين وسميت باسم " سيف رولاند " (**Roland**). ولدى اطلاق القنبلة التي تزن ١٨٠ رطلا كانت تعادل بصاروخ إرتجاعي ومظلة، كانت تصبح فوق الهدف مباشرة ومقدمتها نحو الأسفل بزاوية ٦٠ درجة. عندئذ يقوم صاروخ محرض بدفعها نحو أعماق الممر ، كانت قنابل " الدوريندال " تترك حفرا عمقها ١.٦ مترا وعرضها ٥ أمتار جاعلة المدارج غير صالحة للإستعمال. كذلك لا يمكن أصلاحها بسرعة لأن الفتائل المتأخرة الموجودة على القنابل تستمر بالإنفجار.

× وقد ألقي أكثر من مائة قنبلة من هذا النوع على قاعدة أبو صوير وحده في أقل من ساعة. فقد تم تدمير ست عشرة طائرة ميج وشلل بطارية سام – ٢.. وكانت ألسنة اللهب تتصاعد في جميع مطارات مصر الأخرى،وقعت الطائرات المصرية في مصيدة لا خلاص منها وأصبحت فريسة سهلة للمدافع من عيار ٣٠ مم وللصواريخ المنجذبة للحرارة ، وفي مطاري بني سويف والأقصر غرب القناة تفجرت طائرتان توبولون – ١٦ وحمولتها المقدرة بعشرة أطنان من الشحنات المتفجرة بقوة هائلة، حتى أن إحدى الطائرات الإسرائيلية المهاجمة قذفت في الجو.

× أما في سيناء فقامت تشكيلات مختلطة من طائرات الميراج والميستير المقاتلة بضرب القواعد المتقدمة في جبل لبنى وبير تمادا وبير جفجافة، قصفت العشرات من طائرات الميج التي كانت رابضة. وحولت بضع طائرات كانت تحاول الإقلاع الى رماد.

× ولم ينج من القصف إلا مدرج مطار العريش، لأنه كان من المفروض استخدامه فيما بعد لتنقلات الجيش الإسرائيلي (!!). وبنهاية الموجة الأولى في الساعة الثامنة بتوقيت مصر كان قد نفذ حوالي ٢٥ غارة جوية ضد قواعد غرب القاهرة وفايد وابو صوير،لقد دمرت أربع مطارات في سيناء وأثنان في مصر تدميرا كاملا. كما قطع كابل الإتصالات الذي يربط القوات المصرية في سيناء بالقيادة العليا.

× وصلت الموجة الثانية من المقاتلات الإسرائيلية نحو أهدافها وهي ١٤ قاعدة معادية نصفها تقريبا غرب القناة، وجميع مواقع الردارات المصرية. ومع أن الإسرائيليين لم يعدوا يأبهون بعنصر المفاجأة ولا بمراعاة صمت اللاسلكي، فإن المقاومة التي صدرت عن هذه المنشآت كانت معتدلة ومحصورة الى حد كبير في النيران المضادة للطيران.

× نفذ سلاح الجو الإسرائيلي ١٦٤ غارة في أكثر من مائة دقيقة ودمر ١٠٧ طائرة مصرية، وخسر تسع طائرات. فقد دمر ٢٨٦ من الطائرات المصرية البالغ عددها ٤٢٠ طائرة : ٣٠ منها من طراز توبولوف – ١٦ الإعتراضية، و ٢٠ من طراز ميج -١٩، و ٧٥ من طراز ميج – ١٧، و ٣٢ نقل وهليكوبتر. وقتل ثلث طياريها، وعطلت ١٣ قاعدة عن العمل ودمرت ٢٣ محطة رادار ومواقع مضادة للطائرات.

الخوف من الضربة المضادة!

× أخذت توقعات الإسرائيليين بالحسبان احتمال تغلب المصريين على الصدمة الأولى واستجماع قواهم واسقاط حوالي ربع

الطيران الإسرائيلي أثناء الهجوم (!!). والواقع أنه صدرت أوامر للطيارين الإسرائيليين بالإحتفاظ بوقود يكفي لطيران خمس دقائق وبثلث ذخيرتهم تحسبا لنشوب معارك جوية.

× ولم يكن هناك اطلاق نيران أرضية ذات قيمة على الطيران الإسرائيلي. فجميع البطاريات المصرية المضادة للطيران والبالغ عددها مائة ومواقع الصواريخ سام – ٢ المضادة للطيران والبالغ عددها ٢٧ لم تتلق أية أوامر بإطلاق النار خشية أن تخطئ وتصيب طائرة المشير عامر التي كانت في الجو فتظنها طائرة إسرائيلية وتسقطها(!!).

× في الساعة ١٠,٢٥ التفت هود قائد الطيران الى رابين رئيس الأركان وقال له : " لم يعد يوجد سلاح جو مصري " (ستة ايام من الحرب، ميشيل ب. اورين، ٣٢٤- ٣٣٤)

تقييم الخطة فوكس (Focus)

كانت نتائج الخطة فوكس للطيران أكبر مما يتخيله الإسرائيليون أنفسهم.. وكان معدل اصابات الخطة فوكس يفوق التوقعات بنسبة مائة في المائة. بعد انجاز الضربة الجوية، اصبح بإمكان القيادة الإسرائيلية معرفة النتائج، فبدت لهم خيالية لا تصدق(!!).

كتب "موشى ديان" بعد ذلك يقول : حجر واحد.. ولكنه حجر مميت.. حجر خرج من القلب".

كانت عناصر نجاح " فوكس " تكمن في الآتي :

١ – عنصر المفاجأة.

٢ – عجز المضادات المصرية عن العمل السريع.

٣ – تلافي ضربة مضادة عربية في العمق الإسرائيلي.

ولو دققنا النظر في ظروف نجاح الخطة سنجد انها جملة من المصادفات البحتة غير المتعلقة بخصائص الخطة " فوكس " ذاتها أو دقتها الفنية.

أولا : لأنه تم إكتشاف صعود الطيران الإسرائيلي وتحليقه في الجو بإتجاه مصر منذ اللحظة الأولى من خلال محطة رادار عجلون – كما اعترف اورين وكما هو مذكور في معظم المراجع – وقد تم إرسال إشارة تحذير للقيادة المصرية منذ اللحظات الأولى لصعود الطيران الإسرائيلي.. بل تم إكتشاف ان وجود هذا العدد الضخم واتجاهه بإتجاه سيناء يعني الحرب "عنب.. عنب.. عنب".

ويبقى أن احتمال وصول الشفرة الصحيحة للقيادة المصرية المعنية بالحرب في الوقت المناسب كان كفيلا بإفشال الخطة.

لم تكن محطة رادار عجلون هي الوحيدة التي إكتشفت الهجوم الإسرائيلي.. فقد كان شائعا أن الحرب بدأت بالضربة الجوية.. ولكن الحقيقة أن أول إشارة بتحرك اسرائيلي كان تحرك للقوات الإسرائيلية البرية – وليست الجوية – واحتلال قرية " أم بسيس " المصرية. وقد أرسل ضابط المخابرات الحربية اشارة الى مكتب وزير الحربية شمس بدران في الساعة السابعة.. وأرسلت الى مكتب المشير الذي كان نائما وعرضها عليه " علي شفيق " في غرفة نومه.. فلم يعلق عليها.. ولكنها أرسلت الى الجهة المعنية فوصلت الساعة التاسعة والأربعين دقيقة.. بعد أن أنتهت الحرب عمليا(!!).

وهنا أيضا كان كافيا أن تعطي القيادة العسكرية الإهتمام الواجب لمثل هذه الإشارات المبكرة لكي يتغير مسار الخطة " فوكس " منذ البداية.

ثانيا : أن تقييد المضادات الأرضية المصرية - أيا كان الجدل حول أسباب هذا التقييد – أتاح للخطة فوكس ان تحقق نسبة نجاح تامة - سواء في الطلعات الأولى او الطلعات التالية. وبإفتراض عدم وجود هذه النوع من التقييد للمدفعية المضادة للطيران فقد كان من المحتم ان تكون الخسارة الإسرائيلية في الطيران ذات وزن مؤثر على مسار المعارك الجوية.

ثالثا : كانت الخطة " فوكس " أشبه بمتاهة في تعقيداتها وفائقة الخطورة – كما يقول أورين - فقد كانت الخطة تتطلب عشرات الأسراب تنطلق من قواعدها بصمت لتلتقي على أحد عشر هدفا في غضون ٤٥ دقيقة طيران. فقد زج في الهجوم جميع سلاح الجو الإسرائيلي، ماعدا أثنتي عشرة طائرة نفاثة، اسماها أنصار كرة القدم الأمريكيون " السلام المريخي " (Hail Mary) تاركة أجواء إسرائيل بلا دفاعات عمليا. لقد اقتنع قادة سلاح الجو الإسرائيلي، بعد تدريبات لا حصر لها، أنه يمكن تدمير سلاح الجو المصري. حتى وان افلحت في الإقلاع من مدارجها بعد ثلاث ساعات من الضربة الأولى.

ومع ذلك ظلت الشكوك تساور رابين، حتى انه أصدر اوامره لوحدات من الكوماندوز بالإستعداد للقيام بهجمات ليلية على المطارات المصرية في حال فشل الخطة فوكس (ميشيل أورين، مصدر سابق، ص ٣٢٧)

ان احتمالات الضربة المضادة كانت بالفعل هي أول مافكرت فيه القيادة المصرية بعد علمها بتدمير سلاح الجو المصري. فقد انصرف ذهن المشير عامر.. فقد اتصل بدمشق وبغداد طالبا منهم تنفيذ الخطة " رشيد " وقصف المطارات الإسرائيلية (التي كانت عمليا بدون حماية من الطائرات) على الفور.. ولقد وافق العراقيون أولا ثم تعللوا بتأخيرات فنية.. أما السوريون – سبب الأزمة – فأدعوا أن طائراتهم مشغولة في مناورات تدريبية (!!). ولقد أخذ الجنرال مورد خاى هود قائد الطيران الإسرائيلى

مخاطرة كان يمكن أن تؤدى به إلى كارثة، إذ إنه أرسل كل طائراته فى موجة الهجوم الأولى ضد مصر ولم يستبق فى إسرائيل غير ثمانى طائرات أو ثلاث عشرة طائرة.

ولو كان هناك تنسيق كاف وفعال على بقية الجبهات العربية الأخرى لاستغلت فترة الضربة الأولى ضد مصر - وقد استغرقت ساعة ونصف الساعة علىً الأقل ذهاباً وإياباً - فى مجرد ضرب ممرات المطارات الإسرائيلية ولو أن ذلك حدث لتعذرت على طائرات العدو فرصة الهبوط مرة أخرى إلى مطاراتها ولكانت النتيجة كارثة محققة بالنسبة لضربة إسرائيل الأولى.

لقد سلب العرب من أنفسهم فرصة إفشال الخطة " فوكس " وتحقيق الضربة المضادة بسبب رفض السوريين والعراقيين المشاركة في الحرب وضرب المطارات الإسرائيلية.. وهكذا قدر ل " فوكس " عناصر نجاحها المثالية.

ان أي عامل من العوامل الثلاثة السابقة كان كفيلا بمفرده إفشال الخطة الجوية الإسرائيلية " فوكس " او على الأقل الحد من آثارها.. لكن أن تجتمع العناصر الثلاثة في وقت واحد.. فقد كان ذلك توفيقا لا يضاهيه توفيق..

ان أحد القادة الإسرائيليين هو " رافول إيثان " عبر عن هذه الجملة من المصادفات " السعيدة " بقوله بعد الحرب : " يبدو أن أحد في السماء كان يحرسنا.. فما من عمل غير مقصود قاموا به.. وما من عمل غير مقصود قمنا به إلا وانقلب لصالحنا"(!!) (ميشيل أورين، ص ٣٣٨) .

×××××××

« ١٠ »

من المسؤول عن "كارثة الطيران"؟

من المسؤول عن "كارثة الطيران"؟
لم تكن هناك خطة حقيقية لهجوم جوي على القواعد الإسرائيلية.. ولم يتدرب الطيارون عليها
عبد الحكيم عامر لم يأخذ تحذيرات عبد الناصر السياسية والعسكرية على محمل الجد
من الذي أصدر قرارا بتنفيذ الخطة "أسد" ومن الذي ألغاها؟

حاول قادة الهزيمة "المعزولون" والمحاكمون أن يلقوا بمسئولية ما حدث للقوات الجوية على القيادة السياسية للحرب وعلى عبد الناصر شخصيا في ما يسمى "كارثة الطيران".. وأول ما يلفت النظر في تبريرات قادة الطيران في هذا الإطار كان "مسألة تلقي الضربة الجوية الأولى". وعدم موافقة قائد الطيران "صدقي محمود" على فكرة تلقي الضربة الأولى لأن ذلك سوف يؤدي الى " تكسيح" الطيران..

ووقائع هذا الاجتماع الذي تم يوم ٢ يونيو بدأت كما تقول المراجع بجدل حاد بين محمد صادق قائد المخابرات الحربية وصدقي محمود قائد القوات الجوية.. فقد أوصى "صادق" بسحب الطائرات المصرية من القواعد المتقدمة في سيناء حيث هي معرضة لهجوم مفاجئ.. بيد أن قائد الطيران "صدقي" صد الفكرة صائحا: أنا أعرف عملي يا صادق!! ان التخلي عن القواعد المتقدمة يحطم معنويات الطيارين!

ومازال يعارض فكرة انتظار الضربة الأولى واستخدم تعبير باللغة الإنجليزية: **We may be crippled** أي إننا يمكن أن "نتكسح".. ولفتت هذه العبارة نظر عبد الناصر الذي سأل قائد الطيران عما يعنيه بذلك.. ورد الفريق "صدقي محمود" أنه قد يعني أن قيام إسرائيل بالضربة الأولى قد يكلفنا كثيرا.. وسأله جمال عبد الناصر عن تقديره للخسائر في هذه الحالة.. ورد الفريق صدقي محمود قائلا أنه يتوقع خسائر مابين ١٥٪ و٢٠٪ من قوة الطيران المصري.. وطلب منه عبد الناصر إيضاح الأسباب التي تدعوه الى هذا التقدير.. وكان رد الفريق "صدقي" بأن كل مطارات سيناء واقعة في مدى عمل القوات الجوية الإسرائيلية.. وهذه هي المنطقة التي يخشى على خسائره فيها خصوصا وأن مطاراتها هي مجال الحشد الرئيسي للمقاتلات المصرية التي كانت مستعدة لتوجيه الضربة الأولى لإسرائيل (حسب ما خطط عامر وصدقي).. وكان جواب عبد الناصر: أنه إذا كنا قد استبعدنا إمكانية قيامنا بالضربة الأولى لأسباب سياسية وعسكرية.. فليس هناك ما يدعو إلى هذا الحشد من المقاتلات في المطارات المتقدمة من سيناء والواقعة في مجال عمل طيران العدو، وأن الأولى من ذلك سحبها الى مطارات الدلتا والصعيد لتكون مستعدة هناك للضربة الثانية بعد توقي واستيعاب الضربة الإسرائيلية الأولى.

ويبدو أن عبد الناصر كان حريصا على أن يستوثق من فهمه ومن فهم الآخرين، فسأل عن مدى تعرض مطارات الدلتا والصعيد لغارات إسرائيلية.. وكان رد الفريق صدقي – وأيده في ذلك الفريق جمال عفيفي قائد الدفاع الجوي - انها بعيدة تماما عن مجال الطيران الإسرائيلي، وأن إسرائيل لا تملك للعمل في هذا المجال البعيد إلا طائرات من طراز "فايتور" وهي لا تملك غير ست عشرة طائرة منها لا تستطيع أن تستعملها كلها ضد مصر أو تستعملها مرة واحدة في ضربة أولى.. وكان تقدير قائد الطيران وقائد الدفاع الجوي أن قوة الضربة الأولى الموجهة ضد مصر في حدود ٧٠ طائرة لأن الطيران الإسرائيلي سوف يكون عليه توزيع قوته على ثلاث جبهات، مصر وسوريا والأردن، لأنه لا يستطيع أن يطمئن الى تركيز قوته كلها في ضربة واحدة أولى ضد مصر



تاركا مواقعه مكشوفة أمام أي احتمال من الأردن أو سوريا.
وكان القرار الذي اتخذ بعد هذه المناقشات هو تخفيف تركيز الطائرات المصرية في سيناء المكشوفة.. والعودة بالقوة الأساسية منها في مطارات الدلتا والصعيد، مع تكثيف الدفاعات الجوية على القواعد المتقدمة في سيناء.. وذلك لتخفيف خسائر الضربة الأولى الى اقل حد ممكن، وتعظيم خسائر القوات الإسرائيلية في الضربة الأولى الى اكبر حد ممكن أيضا. (محمد حسنين هيكل ، الأنفجار، ص ٨١٦-٨١٧).

قائد الطيران يتلكأ!

وفي صباح اليوم التالي ٣ يونيو ١٩٦٧ حضر الفريق أول صدقي محمود وأخطر المشير، بعدم إمكانية التغيير الشامل في أوضاع أسراب المقاتلات في سيناء، بإعادة تمركزها، وأخبره بأنه اقتصر على نقل سرب واحد من مطارات سيناء إلى مطار كبريت، وكان الفريق صدقي قد بدأ كلامه عن تخوفه من إعادة الطيارين للخلف مما يؤثر على روحهم المعنوية، ووافق المشير على هذا الرأي بأنه ما زالت هناك فرصة للمراجعة على الطبيعة عند زيارته – أي المشير – إلى سيناء يوم ١٩٦٧/٦/٥، وأنه أخطر قائد الجبهة الفريق أول "مرتجى" بهذه الزيارة.
ولأهمية هذا الاجتماع أرى ضرورة تحليل مواقف أطرافه المختلفة، فقد أوضح الرئيس "عبد الناصر" تطورات المعركة المتوقعة، ونية العدو تماماً، كما حدد توقيت وتاريخ بدء المعركة مع إسرائيل، وحدد أن بداية المعركة ستكون بضربة جوية أولى من إسرائيل.
أما المشير "عامر"، فمن خلال مواقفه في الاجتماع نستطيع القول إنه لم يقتنع بتقديرات الرئيس السياسية والعسكرية، كما أنه لم يبال بالإنذار الصريح من الرئيس بميعاد المعركة وهو ١٩٦٧/٦/٥، بدليل أنه استمر في تنفيذ برنامجه المعتاد، وقيامه بزيارة سيناء في نفس اليوم الذي حدده هذا الإنذار.

المشير ورجاله يتهكمون على عبد الناصر!

وقد كان موقف القادة الحاضرين سلبياً، فهم لم يتلقوا من المشير أي تحذير أو إنذار باحتمال قيام إسرائيل ببدء عملياتها يوم ١٩٦٧/٦/٥، بل إن هذا الكلام سمعوه من الرئيس "عبدالناصر" وبالتالي فهم لم يخطروا أحد بما سمعوه من الرئيس، بل أكثر من ذلك فقد سرت همهمة بعد الاجتماع أعتقد أنها منقولة عن المشير نفسه تقول: "هو يعني كانت تقديراته – أي "عبدالناصر" – سليمة عام ١٩٥٦"..
ويقول الفريق أول "محمد فوزي" أنه بعد انتهاء المؤتمر سمع القادة العسكريين " يتهكمون" على استنتاج جمال عبد الناصر ان الحرب ستبدأ يوم ٥ يونيو.. وأن أحدا منهم لم يكن يجرؤ على ذلك لولا أنهم يعرفون أن ذلك يلقى صدى طيبا عند المشير!!
ويقول الفريق "عبد المحسن كامل مرتجي" قائد القوات البرية – وهو أحد رجال المشير – انه سأل المشير عن سبب عدم الأخذ بوجهة نظر رئيس الجمهورية التي شرحها في مؤتمر القيادة العسكرية العليا مساء يوم ٢ يونيو وحدد فيه يوم ٥ يونيو موعد نشوب القتال.. وكان رد المشير: "انه لا يعرف في عبد الناصر أنه كاهن أو ان الوحي ينزل عليه"(!!)
إذاً فالقادة الحاضرون لم يقتنعوا بموقف الرئيس وتحذيراته، تشبهاً بقائدهم المشير "عبد الحكيم عامر".
وزاد من حدة هذا الموقف وصول ملخص تقرير المخابرات الحربية يوم ١٩٦٧/٦/٢، عقب الاجتماع مباشرة ويرجح أن إسرائيل لن تقدم على عمل عسكري تعرضي، وأن الصلابة العربية الراهنة، ستجبر العدو بلا شك على أن يقدر العواقب المختلفة المترتبة على اندلاع شرارة الحرب في المنطقة".
ولعدم اقتناع المشير بتحليلات الرئيس "عبدالناصر"، وتأكيدا لموقفه هو، أمر بإعادة طبع هذا التقرير وتوزيعه على القوات بشكل واسع، وبدأ هذا التقرير يصل إلى مستوى الوحدات الفرعية، خلافاً لما كان يحدث لأي تقرير مخابرات سابق.

لغز الضربة الجوية الإستباقية المصرية!

فيما بعد تعلل قادة الطيران بأعذار مختلفة – كالتلميذ الخائب – الذي يبحث عن أعذار لتبرير رسوبه الشنيع في الامتحان.. وهو قطعا يجد – هنا وهناك – أعذارا واهية تبرر فشله.. فقد تعلل البعض برفض جمال عبد الناصر فكرة الضربة الإستباقية وأنه هو صاحب فكرة تلقي الضربة الأولى.. وان هذا هو السبب الحقيقي وراء خسارتنا الحرب..

الفريق "أنور القاضي" رئيس غرفة العمليات وأحد رجال المشير يقول: "... كان من المفروض أن يوجه الطيران المصري ضربة جوية مفاجئة ضد مطارات إسرائيل ودفاعاتها الجوية وحشودها مع أول ضوء في فجر ٢٧ مايو.. وكان الهدف أن نصيب الحشود الإسرائيلية التي أخذت تتدفق نحو جنودنا بالشلل المؤقت ثم نقوم بالعمليات التعرضية لها.. وصدرت بالفعل الأوامر بهذه العمليات الجوية.. ولكن فجأة – في الساعة الثالثة صباحا – صدرت أوامر أخرى من القيادة العليا بإلغائها . وكما عرفنا – فيما بعد – كان ذلك إثر المقابلة العاجلة بين الرئيس عبد الناصر وبين السفير السوفييتي في بيته بمنشية البكري وأبلغه رسالة من القادة السوفييت لمنع مصر من البدء بأية عمليات عسكرية ضد إسرائيل وجرى اتصال بين الرئيس والمشير عامر لإلغاء الضربة الجوية وإيقاف جميع العمليات التعرضية.. وهكذا تغيرت الأوضاع خلال ساعات وكان لابد من اعادة النظر في الخطط مرة أخرى" (نقلا عن كتاب برلنتي عبد الحميد: الطريق الى قدري.. إلى عامر، طبعة خاصة، ص ٣٨١)

أما الفريق أول "عبد المحسن كامل مرتجي" – قائد القوات البرية أثناء الحرب – فهو يتهم عبد الناصر مباشرة بالتسبب في الهزيمة العسكرية بسبب الغاء الضربة الجوية الإستباقية.. ففي حديث أجراه معه الصحفي "مصطفى عمارة" لجريدة الزمان ومنشور نصه على الإنترنت.

ففي سؤال نصه : هل صحيح أن عبد الناصر حذر في هذا الاجتماع (اجتماع ٢٥ مايو) من قيام إسرائيل بالضربة الجوية الأولي ضد قواتنا الجوية؟

- نعم ولكنه طلب منا أن نتلقي الضربة الأولي ونحاول امتصاصها حتي نجنب أنفسنا التدخل الأمريكي وعدم إحراج السوفيت وهنا اعترض الفريق أول صدقي محمود قائد القوات الجوية والذي ألقيت علي كاهله مذبحة القوات الجوية وحوكم وأدين ووضع في السجن علي تلك الخطوة لأن إسرائيل لو نفذت تلك الضربة فسوف تكون مذبحة للقوات الجوية المصرية لعدم وجود دفاع جوي رادع أو تحصينات وملاجئ للطائرات أو مطارات كافية توزع عليها الطائرات واقترح الفريق صدقي محمود أن نبادر بالضربة الجوية الأولي حتي ننتزع زمام المبادرة ،ولو نفذ ذلك الاقتراح لتغير مجري الحرب ولكن عبد الناصر رفض تلك الفكرة ومن الغريب أن نائب القائد الأعلي أصدر في ذلك اليوم نفسه أمراً إنذارياً إلي قائد القوات الجوية والدفاع الجوي للاستعداد لتنفيذ الضربة الجوية ذات الأسم الرمزي (أسد) اعتباراً من أول ضوء يوم ٢٧ ايار (مايو) عام ٦٧ وهذا الأمر الغي في ما بعد وقبل أن تتاح الفرصة لتنفيذه.

تلامذة.. خائبون.. وكذابون!

وقد تعلل معظم القادة المعزولين برفض الرئيس عبد الناصر بفكرة الضربة الإستباقية التي كان مخططا لها فجر يوم ٢٧ مايو.. ولكن هذه الواقعة – بالذات – تثبت مدى تهور ورعونة المشير ورجاله.. لماذا ؟

لأنه لم يثبت في أي من الاجتماعات الخمس التي عقدها جمال عبد الناصر مع القيادة العليا أن قد تم الإتفاق مع القيادة السياسية – أي الرئيس جمال عبد الناصر – على عمل ضربة استباقية وتحديد لحظة الصفر بفجر يوم ٢٧ مايو.

وفي مطالعاتي لكل المذكرات التي كتبها القادة العسكريون المصريون – وبشكل خاص قادة الهزيمة المعزولين والمدانين – لا يوجد أي تفصيل أو ذكر للأجتماع الذي دار فيه النقاش أوالحوار حول فكرة الضربة الإستباقية.. لم يتواجد أبدا إجماع أو حتى نقاش على مبدأ الضربة الجوية الإستباقية أو تفصيلاتها.. وهذا أمر غير مفهوم حتى هذه اللحظة.. كيف ومتى خطط المشير وقائد الطيران لهذه الضربة الجوية (؟!!). وقد قال الفريق عبد المحسن كامل مرتجي من أن المشير عامر قال له : ان بينه وبين موشي ديان وزير الدفاع الإسرائيلي ثأرا قديما منذ العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦. وأنه لن يترك هذه الفرصة حتى يلقنه درسا لا ينساه ويقضي على أسطورة الجيش الذي لا يقهر.

ولعل ذلك هو الذي دفعه لإتخاذ قرار خطير جدا وبشكل منفرد، يرويه الفريق أول محمد فوزي قائلا: ان المشير أصدر توجيهاته الى الفريق أول صدقي محمود قائد القوات الجوية والدفاع الجوي بتنفيذ الخطة الجوية "أسد" اعتبارا من أول ضوء يوم ٢٧ مايو.

وقد أسرعت قيادة القوات الجوية بإصدار تعليمات تفصيلية الى التشكيلات الجوية لتنفيذ الخطة.. وكان ضمن هذه الوحدات مطار العريش.. حيث ثبت فيما بعد ان هذه التعليمات وتوقيت تنفيذها قد تسربت للعدو.. وكانت قد وصلت برقية عاجلة من سفيرنا في الولايات المتحدة الأمريكية.. يذكر فيها إنزعاج الولايات المتحدة الأمريكية من وصول معلومات مؤكدة الى اسرائيل عن نية مصر الهجوم عليها مع تحديد توقيت هذا الهجوم.. يقصد الخطة "أسد" المزمع تنفيذها يوم ٢٧ مايو مع أول ضوء. وقد اتضح للرئيس جمال عبد الناصر ان معلومات اسرائيل صحيحة.. وأنه هو نفسه لم يكن يعلم بهذا الهجوم.. وقال الفريق أول محمد فوزي: أنه اتهم قائد طيران العريش بتسريب الخطة الى العدو.. بيد أن ذلك لم يثبت.. وبقى السؤال حائرا.. كيف وصلت الخطة الى إسرائيل؟!

أولا: أن قرار الضربة الجوية الإستباقية يعني عمليا "إعلان الحرب".. وهذا قرار تمتلكه القيادة السياسية أولا ولا ويمتلكه العسكريون بمفردهم.. وبما أن "جمال عبد الناصر" لم يكن يعلم - وبالتالي لم يوافق - على هذه الضربة الإستباقية.. فهذا يعني من الناحية القانونية والدستورية خروج عبد الحكيم عامر وصدقي محمود على الشرعية السياسية.. ويعني من الناحية الأخلاقية تهورا وعدم مسئولية.. حيث ينفرد عامر وصدقي بإتخاذ القرار.. ان أنور القاضي رئيس غرفة العمليات - وهو الذي يحمل عبد الناصر والسوفيت - مسئولية إلغاء الضربة الجوية الإستباقية، لا يحدد متى وكيف ومن الذي أتخذ القرار بهذه الضربة الإستباقية.. وهو الوحيد الذي يمتلك أن يقول لنا عن صاحب هذا القرار بإعتباره رئيس غرفة العمليات(!!)

ثانيا: ومن الناحية العسكرية.. فإن القرار بضربة جوية استباقية يعني وجود تخطيط دقيق يصل الى أدق التفصيلات.. فالضربة الجوية تحتاج الى معلومات تفصيلية عن مطارات العدو وقواعده الجوية والأغراض الحيوية التي ستوجها لها الطلعات.. وتحتاج الى تدريب كامل للطيارين على الأهداف والواجبات الملقاة على عاتقهم.. والى توافر المعدات اللازمة لهذه الضربة الإستباقية يتناسب مع مداها مع مسافات الأغراض المستهدفة ونوعية القنابل والصواريخ التي ستستخدم في قصف الأهداف.. وكيفية التعامل مع رد فعل العدو من اشتباكات أرضية وجوية.. لم تكن هذه المعلومات والعناصر متوافرة لخطة عامر - صدقي الإستباقية مقارنة بالخطة "فوكس" الإسرائيلية التي تم التدريب عليها لمدة خمس سنوات والتعديل في تفصيلاتها ودقائقها من خلال معلومات دقيقة عن سلاحنا الجوي ونوعية طائراته وطياريه وعادتهم.. بل أسماءهم وترددات أصواتهم.. كما قال الإسرائيليون في معرض التباهي والإختبار.

والغريب ان هؤلاء القادة دافعوا عن أنفسهم - فيما بعد - بالقول أنهم كانوا ضحية لنقص المعلومات التي قدمتها لهم المخابرات الحربية عن طائرات العدو وأنهم كانوا يعتقدون أن مدى الطيران الإسرائيلي لا يصل الى قناة السويس والعمق المصري غرب القناة.. علاوة على انه لم يكن في مقدور الرجال التمييز بين طائرات الميج والطائرات الميراج اثناء هجوم طائرات العدو على قواعدنا..

فكيف كانوا يخططون ويتوقعون نجاح الضربة الجوية الإستباقية ؟

أن احدى اللجان العسكرية - التي شكلت للتحقيق بعد الهزيمة - أثبتت ان نقل المعركة الى أرض العدو كان مستحيلا بسبب نقص المعلومات.. سواء كان ذلك بضربة استباقية أولى أو بضربة ثانية.. كما اثبتت أن تلقي الضربة الجوية الأولى بأقل خسائر ممكنة كان مستحيلا أيضا لعدم وجود الدشم والقصور في الإستعدادات الأخرى " (أمين هويدي، ٥٠ عاما من العواصف...، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠٢).

رئيس هيئة العمليات الفريق "أنور القاضي" يدعي أن الغاء الضربة الجوية الإستباقية كان بسبب عبد الناصر والسوفيت.. وأن ذلك كان له أكبر الأثر على الخطط العسكرية.. ومن ناحية أخرى.. يقرر - في مذكراته - ان الجيش لم يكن جاهزا لأي مواجهة كبرى مع إسرائيل، أو حتى عمليات تعرضية صغيرة لنقص الكفاءة القتالية للتشكيلات (؟ !!).

هنا يبدو التخبط والتناقض والرغبة في تبرئة الذات بأي طريقة التي يحاول بها رئيس هيئة العمليات الفريق "أنور القاضي" الخروج من المهانة الشخصية والجريمة التي أوقعها في حق الجيش.

ان رئيس غرفة العمليات "أنور القاضي" لم يذكر في اي لحظة من لحظات الأزمة أنه حذر من عدم جاهزية الجيش خلال الإجتماعات الخمس التي حضرها رئيس الجمهورية مع القيادة العليا.. ولم يعترض على قرار الحرب.. ولم يعترض على الضربة الإستباقية التي خطط لها عامر وصدقي محمود..

ولكنه يمتلك الشجاعة بأثر رجعي.. لإتهام القيادة السياسية بالمسئولية عن الهزيمة!

الفريق أول "عبد المحسن مرتجي" ردد في مذكراته وأحاديثه الصحفية نفس القصة عن الضربة الجوية الإستباقية التي خطط لها عامر وصدقي محمود..

القصة الحقيقية للضربة الجوية الإستباقية

يذكر محمد حسنين هيكل تفاصيل الضربة الإستباقية التي أعد لها المشير عبد الحكيم عامر "منفردا" وبدون استشارة جمال عبد الناصر على النحو التالي:

× في الصباح الباكر من يوم السبت ٢٧ مايو كان عبد الحكيم عامر على موعد مبكر مع جمال عبد الناصر. وكان الرئيس يريد أن يبدي بعض الملاحظات على الإجتماع الذي حضره في القيادة العامة في اليوم السابق . فقد لاحظ الرئيس أن المشير عامر يتحدث بطريقة ظاهرة وضمنية عن "الضربة الأولى" ومن يوجهها.. وعن الضربة الثانية ومن يتلقاها.. وكان رأيه أن الدوران طويلا حول هذه المسألة من شأنه أن يخلق بلبلة لدى القيادات . فالحرب جهد سياسي شامل يدخل القتال فيه كعنصر من عناصره في وقت من الأوقات . وفي نطاق الأزمة الراهنة فإن مصر قامت بالخطوة الظاهرة الأولى في حركة تصاعد الأزمة.

× وفي معرض هذا الحديث قال جمال عبد الناصر لعبد الحكيم عامر: أن أي خطوة أضافية نقوم بها الآن فإننا نكون بمثابة من يقدم لجونسون ولإسرائيل الفرصة التي يطلبونها.. بل أن قوى كثيرة في العالم سوف تجد لجونسون مبررا أذا ما اصدر أوامره للأسطول السادس ولقواعده في ليبيا أن تبدأ العمل ضدنا . وهذا ما لانستطيع أن نتحمله في وسط الأزمة.

× وأضاف جمال عبد الناصر: أن هدفه الرئيسي في إدارة الأزمة هو أن نخرج منها بسلام بدون حرب.. ومع أن نسبة نشوب الحرب كما ذكر هو أمس في اجتماع القيادة قد زادت على ٦٠٪ فهو لا يزال واثقا أن جهود كثيرين وبينهم يوثانت لكسب الوقت قد تؤدي الى تخفيض نسبة المخاطرة.

× أما أن نجيئ الآن ونتحدث عن ضربة أولى أستباقية فهذل كلام غير مسئول!

× ثم اشار جمال عبد الناصر في حديثه مع عبد الحكيم عامر الى تفاصيل سمعها في اجتماع الأمس بالقيادة العامة عن خطة تعرضية تحمل الأسم الرمزي " فجر " وهي موجهة الى ميناء إيلات الإسرائيلي بهدف قطعه عما وراءه . وقال انه لم يشأ أن يشدد في الإعتراض عليها في اجتماع القيادة حتى لا يساء فهم اعتراضه . وأنه يؤثر أن يقوم عبد الحكيم عامر الآن بإلغاء الأمر الإنذاري للخطة التي كان مزمعا تنفيذها خلال أيام قليلة.

× ولم يكن اقتناع عبد الحكيم عامر "كاملا" وان كان قد قال في نهاية الحديث: "أنه سينفذ الأوامر"

× والغريب أن عبد الحكيم عامر ظل طوال يوم ٢٧ مايو مترددا في إلغاء العملية "فجر" ثم أضطر أخيرا الى تنفيذ الأوامر.

ظهر يوم السبت ٢٧ مايو بعث الدكتور " مصطفى كامل " السفير المصري في واشنطن برقية شفرية عاجلة جاء نصها على النحو التالي :

أولا :

١ – اتصل بي نائب وزير الخارجية " يوجين روستو " الساعة التاسعة والنصف مساء . وقال ان هناك مسألة عاجلة ودقيقة للغاية ولهذا يرجو مقابلتي فورا .

٢ – اجتمعت به الساعة العاشرة مساء . طلب من مساعديه ترك مكان الإجتماع ، وإقتصرت المقابلة علينا نحن الأثنين.

ثانيا: قال الآتي:

١ – حضر وزير خارجية اسرائيل الى واشنطن وطلب مقابلة المستر راسك وزير الخارجية.

٢ – تحددت له ساعة معينة للأجتماع

٣ – قبل الموعد المحدد بساعتين ، اتصلت السفارة الإسرائيلية بمكتب وزير الخارجية وطلبت اجتماعا فوريا مع أبا إيبان . وذكرت السفارة أن هذا لأمر هام للغاية ولا يحتمل التأخير ساعتين.

٤ – وأضاف نائب وزير الخارجية أن أبا إيبان عرض على وزير الخارجية الأمريكية برقية عاجلة وردت اليه من حكومته تفيد بأن هجوما مفاجئا بواسطة القوات المصرية والسورية غدا حالا ، وأنه قد يقع بين ساعة وأخرى.

٥ – أخبره المستر راسك أنه يستبعد ذلك ، ولكن أبا إيبان ألح في تأكيد ما تقدم.

٦ – وذكر نائب وزير الخارجية أن أبا أيبان مجتمع الآن مع وزير الخارجية (في إنتظار انتهاء مقابلة السفير المصري مع يوجين روستو)

٧ – وأضاف إنه رغم عدم تصورهم قيامنا بالهجوم على اسرائيل إلا أنهم لا يريدون المجازفة في هذا الشأن.

٨ – ولذلك يرجو مني أن أبعث لحكومتي برسالة فورية أنقل لها مناشدة الحكومة الأمريكية القوية بالتمسك بضبط النفس وتجنب أية أعمال عسكرية.

٩ – وأضاف أن هذه الأعمال التي لا يتصورون وقوعها ستؤدي لنتائج خطيرة جدا إن حدثت.

١٠ – وأضاف انه يود أن يؤكد ان الحكومة الأمريكية من ناحيتها تبذل كل جهد من أجل منع اسرائيل من القيام بأعمال عسكرية تجاهنا .

١١ – وأضاف أن هذا الأمر يباشره الرئيس الأمريكي شخصيا ، وأن ما أبداه لي والسابق ذكره ، كان بناء على تعليمات من الرئيس جونسون شخصيا .

هواجس عبد الناصر

× بعد أن اطلع الرئيس عبد الناصر على هذه البرقية راودته هواجس كثيرة ، فقد خطر له أن العملية " فجر " قد تكون هي السبب وراء استدعاء السفير مصطفى كامل الى وزارة الخارجية الأمريكية بهذه الطريقة ومقابلة" يوجين روستو " بينما " أبا ايبان " ينتظر النتيجة في مكتب وزير الخارجية " راسك " .

× ذلك أن التوقيتات التي كانت محددة أصلا في العملية " فجر " والتي أصر هو على الغائها صباح ذلك اليوم في لقائه مع عبد الحكيم عامر ، تكاد تكون متطابقة مع الوقت الذي أستدعى فيه السفير المصري في واشنطن الى مقابلة نائب وزير الخارجية.. وكانت هواجسه تدور حول نقطتين:



× هل تسربت الخطة فجر من مصدر داخل القيادة؟!

× أو أن اسرائيل حصلت على معلومات هذه العملية عن طريق التقاط شفرات القوات المصرية وكسرها؟!

× ورجح عبد الناصر الإحتمال الثاني.. وكان تقديره – وهو تقدير أثار مخاوفه كثيرا – هو انه إذا كانت لدى مصر وسائل لكسر الشفرات تعطيها " ثقوبا " تصل من خلالها الى رؤية النوايا والخطط الإسرائيلية.. فلابد ان اسرائيل لديها " نوافذ " تطل منها على النوايا والخطط المصرية؟!

× وهكذا اتصل بالمشير عامر يطلب منه أن يمر عليه اي وقت يناسبه في الساعات القادمة . وعندما جاء عبد الحكيم عامر أعطاه جمال عبد الناصر برقية السفير مصطفى كامل وصارحه بهواجسه.. وطلب اليه أن تغير القوات المصرية شفراتها ، وأن تفعل ذلك كل ثلاثة أيام توقيا لكافة الإحتمالات . ولكن الموضوع ظل يلح على خواطره طوال اليوم وحتى آوى الى فراشه.

× وفي الساعة الثالثة الا عشر دقائق من فجر نفس الليلة دق تليفون الطوارئ الموضوع على مائدة بجوار سريره ، وكان السكرتير المناوب بالعمل ساعات الليل يقول له أن السفير السوفييتي " ديمتري بوجداييف " وصل الى باب البيت ويلح في مقابلة الرئيس فورا وايقاظه اذا كان نائما لأن لديه رسالة عاجلة لا تستطيع الإنتظار من رئيس الوزراء السوفييتي ،وقد كلف بإبلاغها الى الرئيس فور وصولها وفي أي وقت.

× وقام جمال عبد الناصر من فراشه ووضع " الروب دي شامبر " على " البيجاما " التي كان نائما بها ووضع خفا " شبشبا " في قدميه ونزل لمقابلة السفير السوفييتي في صالون بيته.

× أخرج بوجداييف من جيبه مظروفا مطويا على صفحتين.. وراح يقرأ رسالة من كوسيجين الى الرئيس عبد الناصر ، مؤداها أن الرئيس جونسون اتصل به على الخط الساخن بين البيت الأبيض والكرملين قبل ساعة وأخبره ان القوات المصرية ترتب لهجوم على المواقع الإسرائيلية . وأن موعد هذا الهجوم وشيك (!!).

× وانه اذا حدث ذلك فإن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تعتبر نفسها في حل من تعهداتها التي اعطتها للإتحاد السوفييتي بممارسة ضبط النفس . وأنه أي الرئيس جونسون لم يشأ أن يضيع وقتا في ساعات خطر يمكن أن تؤثر تأثيرا فادحا على الموقف.. ولهذا فقد آثر استعمال الخط الساخن في محاولة مخلصة منه لتدارك عواقب قد تكون وخيمة.

× وبنفس الطريقة التي تم بها ايقاظ عبد الناصر بالبيجاما والروب دي شامبر.. تم ايقاظ رئيس الوزراء الإسرائيلي " ليفي أشكول " بالبيجاما والروب دي شامبر ليسمع رسالة مماثلة من " أليكسي كوسيجين " رئيس الوزراء السوفييتي.

× وهكذا أكتشف عبد الناصر خطتين أستباقيتين من تدبير المشير عامر ورجاله وأوقفهما : الخطة " فجر " لعزل ميناء " إيلات " والخطة " فهد " لضربة الطيران . وفيما يخص الخطة " فهد " التي كان مقرر لها مع أول ضوء فجر يوم ٢٧ والتي وثلت معلوماتها لإسرائيل وأمريكا ومنها للسوفييت وعبد الناصر.

× وعلى الرغم من أن المعلومات عن الخطة كان قد وصل الى اسرائيل وأمريكا (لازال غير معلوم حتى هذه اللحظة كيفية وصول هذه الخطة لهما !!) فإن قادة الهزيمة لازالوا يعتقدون أن خططهم كانت ستفاجئ إسرائيل وتغير مسار الحرب.. لا بأس.. ماذا قالت لجنة التحقيق التي شكلت برئاسة اللواء " حسن مطاوع " لبحث اوضاع الطيران المصري فيما يخص الخطة " فهد ":

× " اتضح للجنة أن التصميم على المبادأة من جانبنا وقيام قواتنا الجوية بالضربة الأولى كانت نتائجها مشكوك فيها وغير مضمونة للأسباب التالية :

١- النقص في المعلومات التفصيلية عن تمركز القوات الجوية للعدو وعدد طائراته في كل قاعدة وتسليحه ودفاعاته المضادة للطائرات وتأمين وصول هذه المعلومات حتى قبل بدء هجومنا.

٢- مدى امكانيات العدو سواء المباشرة أو غير المباشرة على معرفة وقت هجومنا بوسائل الإستطلاع الإليكتروني في اللحظة المناسبة وبذلك تضيع ميزة المفاجأة .

٣- واضح من خطة الدفاع الجوي للعملية " فهد " (البند ثالثا ، فقرة ١٤) أن نسبة الخسائر في الطائرات الإسرائيلية في حال قيامنا بالعمليات الهجومية ، كانت قد قدرت بحوالي ١٠ ٪.. وهذه النسبة ضئيلة وبذلك يمكن للعدو بالقوة الباقية وهي ٩٠ ٪ أن يحدث خسائر فادحة في قواتنا الجوية عند قيام العدو بالضربة المضادة .

٤- أن فكرة نقل المعركة الجوية الى أرض العدو كانت ستكلفنا فقد الطيارين والطائرات بدون تحقيق الهدف وإحراز نجاح معقول لأن أساس النجاح في المعركة مبني على مقدار المعلومات التي لدينا عن العدو . وهذا كان غير متوافر لدى القوات الجوية بالقدر الذي يسمح بإحراز نجاح مثل ما كان لدى العدو من معلومات كاملة عن قواعدنا وعناصر دفاعنا الجوي أتضح ذلك عندما حصلنا على خريطة الجمهورية العربية المتحدة مع أحد قادة الأسراب (الإسرائيلية) الذي سقطت طائرته يوم ٥ يونيو وواضح عليها المعلومات التفصيلية والتلقين الكامل الذي كانت من نتائجه النجاح الذي أحرزه العدو في الساعة الأولى من المعركة.

٥- تقرير اللجنة منشور بالكامل في الملف الوثائقي لكتاب محمد حسنين هيكل "الإنفجار" من صفحة ١٠٤٠ حتى ١٠٨٠).

« ١١ »

قصة الفرقة الرابعة المدرعة
« درة الجيش المصري »

قصة الفرقة الرابعة المدرعة.. درة الجيش المصري
الاحتياطي الاستراتيجي تم الدفع بها إلى شرق القناة بدون مبرر ثم سحبوها فأعادوها تحت قصف الطيران الصهيوني

اللواء طه المجدوب رئيس أركان حرب اللواء الثالث المدرع (للفرقة الرابعة المدرعة) يروي وقائع ما حدث

قصة الفرقة الرابعة المدرعة، التي تحدث عنها كثيرا المؤرخ الإسرائيلي "يتسحاقي" تحتاج أن نفرد لها فقرة خاصة لأنها توضح مدى التخبط "اللوجيتسيكي" العملياتي الذي اتسم به مسرح العمليات في سيناء أمام القوات المصرية. وتعد تحركات الفرقة الرابعة المدرعة نموذجا صارخا على التخبط والإرتباك الذي كان سائدا في هيئة عمليات الجيش المصري قبل بدء المعارك، فقد اتسمت تحركات هذه الفرقة – والتي كانت تعد درة الجيش المصري – بسوء أستخدام القوات في مسرح العمليات.

ولعل أبلغ شهادة يمكن تقديمها في هذا الصدد، هي شهادة اللواء طه المجدوب الذي كان أحد ضباط هذه الفرقة، حيث كان رئيسا لأركان اللواء الثالث المدرع.. حيث نراه يقول:

".. إننا إذا عدنا الى مرحلة حشد قواتنا في سيناء فسنجد أن القيادة العليا، وقد غمرها الحماس الزائد للمظاهرة العسكرية الضخمة التي مارستها، أرسلت من بين أرسلت الى سيناء العديد من الوحدات من "الإحتياطيات" المحتفظ بها تحت يدها في المناطق الواقعة غرب قناة السويس وشرق القاهرة (كانت الفرقة الرابعة الإحتياطي الرئيس لحماية العاصمة وتأمين الجيش في سيناء في حالة الإختراق).. كان قرار دفع الفرقة الرابعة من منطقة إنتشارها شرق القاهرة على الطريق الصحراوي (القاهرة – الإسماعيلية) يوم ٢٣ مايو ١٩٦٧ وهو نفس اليوم الذي أعلنت فيه مصر رسميا قفل خليج العقبة أمام الملاحة الإسرائيلية.

أخطاء إستراتيجة بالجملة

كان تحرك هذه الفرقة مثار دهشة بين قيادات القوات المسلحة المصرية ومفاجأة مزدوجة لم يتوقعها أحد.. أولا لأنها كانت تعكس إصرارا على الوصول بحالة التوتر الشديد السائدة الى ذروتها، وبالتالي أصبح انفجار الموقف وتحوله الى حرب حقيقية ضارية أمرا متوقعا في أي لحظة..



وثانيا: لأن الفرقة الرابعة المدرعة كانت تمثل - وقتئذ - الإحتياطي الإستراتيجي الوحيد على مستوى الدولة.. وكان من المفروض ألا يتعرض هذا الإحتياطي الإستراتيجي العام لأي نوع من التورط المبكر في اللعبة السياسية الخطرة والمظاهرة العسكرية الخادعة.

وقد حدثت مجموعة من الأخطاء القاتلة في سير عمليات الفرقة الرابعة المدرعة - كما يقول طه المجدوب - وأولها أن الفرقة تحركت على جنازير دباباتها، دون أن تستخدم الناقلات الخاصة بالدبابات، وذلك خلال رحلة تمتد من شرق القاهرة الى وسط سيناء في رحلة تراوحت بين مائتي وخمسين كيلو متر وثلثمائة (٢٥٠- ٣٠٠ كيلو متر).. حيث انتشرت وحدات الفرقة على الطريق العرضي بين منطقة بير تمادا والجفجافة. ويبلغ عرضها حوالي ٤٥ كيلو متر.. وظلت الفرقة منتشرة بين هذه المنطقة - وهي ليست المنطقة التي حددت لها سابقا في خطة العمليات الدفاعية الموضوعة - ومنذ وصولها يوم ٢٤ مايو وحتى اندلاع القتال يوم الخامس من يونيو ١٩٦٧.. ولم تتلق وحداتها أي تعليمات أو مهام محددة تتعلق بواجباتها المنتظرة(!!)

ثانيا: أنه عندما بدأ القتال يوم ٥ يونيو جاءت المفاجأة الأولى عندما صدرت التعليمات للواء الثاني المدرع (أحد ألوية الفرقة الرابعة المدرعة) والذي كان موجودا في بير تمادا بالتحرك شرقا الى منطقة "المطلة" في القطاع الجنوبي من جبهة سيناء الشمالية.. وهو القطاع الذي جذب قسما كبيرا من قوات الجبهة - بعد أنطلاء خطة الخداع الإستراتيجي الإسرائيلي - وهكذا تحرك اللواء الثاني المدرع بقيادة العميد "كمال حسن علي" (الفريق كمال حسن علي فيما بعد) لإحتلال خط المطلة الذي أطلق عليه وقتئذ "خط الستارة المضادة للدبابات" بغرض صد أي هجوم متوقع لقوات العدو المدرعة يأتي من هذا الإتجاه.. وهو الهجوم الذي لم يحدث أبدا(!!)

ثالثا: صدرت التعليمات في مساء يوم ٥ يونيو للواء الثالث المدرع (أحد ألوية الفرقة الرابعة المدرعة) الموجود في منطقة الجفجافة بالتحرك ليلا الى منطقة "بير تمادا" ليحل محل اللواء الثاني الذي توجه الى المطلة.. ولم تحدد لهذا اللواء أي مهمة يمكن أن ينّفذها من موقعه الجديد..

وعندما اتضح الإتجاه الرئيسي للهجوم الإسرائيلي في سيناء مساء يوم ٥ يونيو وصباح يوم ٦ اكتوبر - وأن الهجوم الرئيسي في الشمال وليس في الجنوب - اضطرت القيادة الى اصدار اوامر جديدة للواء الثاني المدرع بالتحرك في وضح النهار (!!) يوم ٦ يونيو للخلف الى منطقة الجدي.. مما عرض اللواء لضرب جوي وخسائر كبيرة اثناء تحركه. وهكذا منذ بداية العمليات تعرضت وحدات الفرقة الرابعة المدرعة لتعليمات متضاربة وتحركات مبكرة افقدتها تماسكها وقدرتها على العمل الحاسم.

رابعا: وهو الأغرب انه عند صدور قرار الإنسحاب مساء يوم ٦ يونيو ١٩٦٧ كلفت الفرقة الرابعة بمفردها بمهمة الدفاع عن المضايق الثلاثة (ممرات متلا والجدي ومضيق الختمية).. وهذه المضايق منفصلة عن بعضها البعض تماما وتمتد على مسافة حوالي ٨٠ كيلومتر.. ولم يخطر ببال القيادة تكليف بعض وحدات المشاه بهذه المهمة.. وكانت هناك وحدات وتشكيلات في سيناء سليمة تماما لم تمس.. خاصة تلك التي حشدت في القطاع الجنوبي للجبهة.. فلم تكن الفرقة المدرعة بالقطع هي أنسب التشكيلات البرية للقيام بهذه المهمة ذات الطبيعة الخاصة.. فمن المعروف ان القتال في الممرات الجبلية لا يناسب الدبابات ويضعها في مصيدة تعرضها للتدمير.. كما لم يكن من الحكمة في مثل هذا الموقف الدقيق ان نلقي في اتون المعركة بالتشكيل المدرع الرئيسي "والوحيد" ونكلفه بمهمة دفاعية ونضع كل دباباته في مصيدة الابادة داخل ممرات ضيقة لا يزيد عرضها عن عشرات الامتار.. علما بأن هذه المهمة لم تكن اصلا من المهام المحددة للفرقة أو التي سبق ان كلفت بها من قبل.

خامسا: لأن الاستخدام الأمثل للفرقة المدرعة كان قيامها بضربات مضادة ضد القوات المهاجمة بعد وقف تقدمها بوحدات مشاة منتقاة.. أما استخدام الفرقة المدرعة في هذه المهمة الدفاعية مع غياب عنصر الحماية الجوية الضرورية للدبابات فهو خطأ قاتل.. كانت الفرقة المدرعة هي الهدف الثمين الذي ظلت القوات الجوية الاسرائيلية تبحث عنه طوال يومي ٥ و ٦ يونيو.. ثم كانت الكارثة الكبرى عندما صدرت الاوامر بإعادة الفرقة مرة ثانية الى سيناء يوم ٧ يونيو.. كان ذلك عملا يتسم بانعدام الشعور بالمسئولية.. لقد اتاح ذلك القرار للطائرات الإسرائيلية فرصة الإنفراد بالفرقة المدرعة في المسرح المكشوف والانقضاض عليها يومي ٧ و ٨ يونيو.. فعرضنا بذلك الورقة الأخيرة - والإحتياطي الإستراتيجي الأساسي للجيش المصري - للدمار منذ اللحظات الأولى للقتال ... وانكشفت دفاعاتنا في القناة وعمق مصر (!!) (اللواء طه المجدوب، هزيمة يونيو، حقائق وأسرار، من النكسة حتى حرب الإستنزاف، ص ١١٧ - ١٢١)

قصة اللواء الثالث المدرع (من الفرقة الرابعة المدرعة)

ما حدث من وقائع في مسيرة هذا اللواء يعد أحد أعاجيب القيادة العسكرية "لشلة عبد الحكيم عامر" التي استلمت زمام الأزمة وإدارة العمليات العسكرية.. ويروي اللواء طه المجدوب وقائع ما حدث للواء الثالث المدرع (للفرقة الرابعة المدرعة) والذي كان هو اركان حربه آنذاك، فيقول: " تحرك اللواء الثالث المدرع في سيناء مساء يوم ٢٣ مايو ١٩٦٧ ضمن الفرقة الرابعة المدرعة ووصل

صباح اليوم التالي الى المنطقة التي حددت لتمركزه وهي منطقة الجفجافة على مسافة ١٠٠ كيلو متر من طريق الإسماعيلية – ابو عجيلة، وكانت الملاحظة الاولى هي ان اللواء لم يتمركز في المنطقة المحددة له وفقا لخطة العمليات "قاهر" والتي شاركت شخصيا في وضعها عندما كنت نائبا لرئيس التخطيط في هيئة العمليات في الفترة من مارس ١٩٦٤ الى مارس ١٩٦٧.
.. ومنذ وصول اللواء الى منطقة الجفجافة وحتى قيام الحرب صباح يوم ٥ يونيو لم يكلف اللواء بأي مهام قتالية "محددة" وانحصر نشاطه قبل ٥ يونيو في القيام ببعض اعمال الاستطلاع في عدة محاور مختلفة.
في صباح ٥ يونيو اشتبكت عناصر اللواء بطائرات العدو التي كانت تهاجم مطار المليز المجاور لمنطقة اللواء.. وتعرض اللواء في هذا اليوم للغارات الجوية نتيجة لذلك.
وفي مساء نفس اليوم تحرك اللواء من الجفجافة الى بير تمادا ليحل محل اللواء الثاني المدرع والذي صدرت له الاوامر بترك بير تمادا والتمركز في منطقة المطلة.
تمركز اللواء الثالث في بير تمادا دون أن يكلف بأي مهام عمليات واستمر هذا الوضع الى ان صدرت اوامر الانسحاب العام مساء يوم ٦ يونيو.
نصت اوامر الانسحاب - التي تعدلت أكثر من مرة – على الانسحاب الى الاسماعيلية باستخدام الطريق الاوسط، على ان يتوقف اللواء على الطريق عند مضيق "أم مرجم" للقيام بمهام القتال التعطيلي حتى الساعة الثانية عشر ظهر يوم ٧ يونيو ثم يواصل انسحابه الى الاسماعيلية (!!). وقد تلقى اللواء هذه المهمة الأخيرة بعد أن بدأ تحركه فعلا وقطعت الاتصالات اللاسلكية بين وحداته(!!)
ومع شروق يوم ٧ يونيو بدأت الطائرات الاسرائيلية تبحث عن صيدها الثمين المتحرك فوق الطرق المكشوفة المكدسة بالقوات والمعدات والاسلحة وتوالت الغارات الجوية الكثيفة تتعامل مع هذه الحشود الهائلة المتحركة فوق عدد محدود جدا من الطرق.. مما أدى الى جسامة الخسائر التي تعرضت لها القوات في هذا اليوم سواء في المعدات أو الأرواح.. الأمر الذي حول الانسحاب الى كارثة.. كما ادى الى عدم قدرة اللواء تنفيذ المهمة المكلف بها حيث كانت الوحدات المنسحبة المتراجعة والقادمة من الخطوط الامامية تكتسح امامها كل شيئ (!!)

أكاذيب عبد المحسن كامل مرتجي

وصل اللواء الى مدينة الاسماعيلية، وبينما هو يلملم وحداته ويجمع شتاته ويحصي خسائره ظهر يوم ٧ يونيو.. واستكمالا للأسلوب الفريد الذي كانت تدار به الحرب.. استدعى قائد الجبهة الشرقية (الفريق عبد المحسن مرتجي) قائد اللواء وقابله بثورة عارمة منكرا صدور أي اوامر بالإنسحاب – وهذا لم يكن حقيقيا (الكلام لطه المجدوب) – وأمره بالعودة فورا مع لواءه الى سيناء رغم كل الظروف ورغم المذبحة التي كانت دائرة في ذلك الوقت على صفحة الصحراء.
كان هذا التخبط في التعليمات والأوامر يزيد الموقف سوءا. وعودة اللواء الى سيناء في ظل هذه الظروف كان عملا انتحاريا لا مبرر له. ولم يكن الهدف من اعادة اللواء الى سيناء هو وقف تقدم العدو لإستحالة تنفيذ هذه المهمة من الناحية العملية ومع وجود سيطرة جوية كاملة للعدو فوق سيناء.. ولكنه كان اساسا لتغطية موقف قيادة الجبهة الشرقية (يقصد مرتجي وصلاح محسن) التي فشلت في تنفيذ الاوامر التي صدرت بوقف الانسحاب (لا يبدو معلوما حتى هذه اللحظة من الذي أصدر الأمر بوقف الإنسحاب: ص . حاتم) بعد أن قطعت صلتها بكل الوحدات وتركت الجبهة وعادت الى مقرها في الاسماعيلية بعد غروب شمس ٦ يونيو (لم يحاكم الفريق مرتجي على انسحابه من الميدان والالتجاء للإسماعيلية قبل ان يطمئن على قواته !! ص . حاتم)

قيادة الجبهة (مرتجي) رعديدة وكاذبة

يضيف "طه المجدوب": لقد شاهدت ليلة ٦/ ٧ يونيو صراعا عنيفا مصحوبا بإرتباك شديد سواء في القيادة العامة بالقاهرة (يقصد شلة عامر) او في قيادة الجبهة الشرقية (يقصد شلة مرتجي) التي انسحبت – الشلة الأخيرة – من سيناء بعد اصدار اوامر الانسحاب "العشوائية" وتركت قواتها لمصيرها المحتوم(!!).. لذلك عندما صدرت الأوامر بوقف انسحاب الفرقة المدرعة خشيت القيادة الشرقية ابلاغ القيادة العامة بحقيقة الموقف.. وأن يظهر ان القيادة الشرقية لم تتمكن من السيطرة على تحركات القوات أو توصيل اي اوامر جديدة اليها سوى الأمر العام بالإنسحاب الكامل غرب القناة.. وهكذا ارادت القيادة الشرقية ان تغطي موقفها فاضطرت الى دفع وحدات الفرقة الرابعة المدرعة – مرة أخرى – الى سيناء بغض النظر عن اي نتائج.. كما كانت تعلم مدى ماتتعرض له القوات المنسحبة - والتي تتحرك كالسيل الجارف- من خسائر جسيمة على ارض سيناء(!!)

وهكذا لم يتمكن اللواء الثالث من التحرك الى سيناء مرة اخرى الا بعد غروب شمس يوم ٧ يونيو وعندما بدأ اندفاع القوات المنسحبة غربا يهدأ نوعا ما(!!)

استعد اللواء الثالث لتنفيذ مهتمه الانتحارية وانحصرت طلباته في أمرين: الأول توفير بعض الحماية الجوية لتحركه شرقا حتى آخر ضوء ليوم ٧ يونيو، حيث لم يكن بحوزة اللواء وسائل دفاع جوي فعالة، وكان المطلب الثاني هو توفير جهاز لاسلكي لتحقيق اتصال مباشر بين اللواء وقيادة الجبهة الشرقية (!!) حيث كان اللواء منفصلا عن الفرقة الرابعة التي إنتشرت (بالإحرى تبعثرت: ص . حاتم) جنوبا بين ممر متلا ومضيق الجدي.. وقد وعد رئيس أركان المنطقة الشرقية وعدا قاطعا بتلبية المطلبين عندما يبدأ تحرك اللواء.. وتحرك اللواء مرة أخرى عابرا القناة دون أن يتحقق المطلبين (!!) فلم توفر له القيادة الشرقية أي نوع من الإتصال حتى نهاية الحرب.. كما لم تظلل اللواء أي طائرة تحميه من تدخل طائرات العدو(!)

××××××××

« ١٢ »

قصة الفرقة الرابعة المدرعة.. بطولات مصرية في ظروف مستحيلة!

لواء مدرع مصري يدمر ثلاث دبابات إسرائيلية ويصيب ٥ أخرى في اشتباك عنيف وسط سيناء دبابات العدو تهرب من مواجهة دباباتنا وتلجأ الى القصف الجوي

أندفع اللواء الثالث الى قلب سيناء مرة أخرى.. بعد أن ظل متحركا لمدة ١٦ ساعة (!!) فقد عاد يتحرك مرة أخرى من بعد ظهر يوم ٧ يونيو وطوال ليلة ٧ / ٨ يونيو على الطريق الاوسط متجها نحو منطقة مضيق "أم مرجم".. وتحسبا لما كان ينتظر اللواء من ضرب جوي كثيف، فقد ترك اللواء في الإسماعيلية كل مركباته الخفيفة وعرباته غير المدرعة حتى لا تتعرض للتدمير دون داعي.

وقبيل فجر ٨ يونيو كان اللواء قد قطع ٦٥ كيلو متر على الطريق شرقا دون أن يصطدم بقوات العدو.. ومع الفجر حدث اول تصادم بين العناصر الامامية للواء وقوة اسرائيلية مدرعة مكونة من كتيبة دبابات من لواء مدرع كان يقوده الكولونيل "مناحم افرايم" احد قواد الفرقة المدرعة الإسرائيلية التي يقودها "اسرائيل تال".

كانت الكتيبة الإسرائيلية تحتل موقعا دفاعيا يسد طريق التقدم.. واشتبكت عناصر لواءنا الامامية مع كتيبة الدبابات المعادية.. وتم تدمير ثلاث دبابات وثماني مركبات اسرائيلية (وفقا للمصادر الإسرائيلية) مما أجبر القوة على الانسحاب السريع تجاه الشرق وقطع اتصالاتها بقواته المتقدمة. وبعد هذا الاشتباك بدأ اللواء يستعد للدخول في معركة رئيسية متوقعة في الصباح.

وحدث ما توقعناه فعليا.. فما أن ظهر ضوء النهار حتى بدأت الطائرات الاسرائيلية تنقض على العناصر الامامية للواء في غارة جوية مبكرة استهدفت اساسا تدمير الاسلحة المضادة للطائرات المصاحبة للواء.. وتمكنت فعلا من تدمير او اصابة معظمها.. حيث هوجم كل مدفع مضاد للطائرات بطائرتين للعدو في وقت واحد.. واحدة من الخلف وواحدة من الإمام.. كما أصيب عدد محدود من الدبابات..

وأعقب هذه الغارة مباشرة قصف كثيف من المدفعية الثقيلة الاسرائيلية. وكان هذا ايذانا باقتراب لوائنا من القوات الاسرائيلية الرئيسية واستعدت الكتائب الامامية لهذه المواجهة.. كانت القوات المهاجمة الاسرائيلية مكونة من لواءين مدرعين تحت قيادة

الكولونيلات "افرايم" و"جونين".. واحتل لواءنا فورا مواقع لصد هذا الهجوم واشتبك مع دبابات العدو المتقدمة وتمكن من وقفها بعد أن دمر عددا منها واضطرها للإنسحاب خلف ستارة كثيفة من الدخان.

.. وسرعان ما عادت الطائرات مرة أخرى لتمتلك ناصية الجو وتقصف قواتنا من جديد.. ثم أعقب ذلك تمهيد بالمدفعية للهجوم الثاني.. وفي هذه المرة حاولت القوات الاسرائيلية القيام بحركة تطويق للجانب الايسر للواء.. وللمرة الثانية ينجح لواءنا في احباط الهجوم الاسرائيلي والتصدي لحركة الالتفاف وافشالها وتدمير واصابة عدد آخر من الدبابات.. واضطرت الدبابات الإسرائيلية الى الانسحاب - للمرة الثانية - خلف ستارة الدخان الكثيفة.. وكان ذلك حوالي الساعة السابعة صباح يوم ٨ يونيو.

ومنذ هذه اللحظة لم تظهر في الافق اي قوات برية إسرائيلية.. فقد قرر قائد الجبهة الجنوبية الجنرال "جافيتس" ألا يعرض قواته البرية لمزيد من الخسائر وأن يترك مهمة تدمير اللواء الثالث المدرع للطائرات الإسرائيلية.. وقد استمرت الغارات الاسرائيلية الجوية على اللواء اثنتي عشر ساعة متصلة من الساعة السابعة صباحا حتى غروب الشمس في السابعة مساء يوم ٨ يونيو.. تعرض اللواء خلالها لخسائر جسيمة في الدبابات والارواح.

تحولت دبابات اللواء الى اهداف ممتازة للطيارين الإسرائيليين.. واستمرت ساعات النهار تمر ببطيء واللواء صامد رغم الخسائر المستمرة.. أما القيادة في الاسماعيلية فلم تكن تعلم شيئا عن اللواء منذ غادر الاسماعيلية بعد ظهر اليوم السابق . ولم ترسل جهاز الاتصال او تحاول متابعة موقف اللواء بأي وسيلة.. مما اضطر قائد اللواء (المرحوم العميد امين ماهر) الى إرسال اكثر من ضابط اتصال لإبلاغ الموقف والعودة بالتعليمات(!!)

بدأت معدات اللواء تتناقص بشكل رهيب والخسائر بين القادة والضباط والجنود تتزايد واضطر اللواء الى الانسحاب تجاه الإسماعيلية ببطء تحت ضغط الجوي للعدو وتحت وطأة الخسائر.. وكان مازال على مسافة ٥٠ كيلو متر من القناة بعد مضي ٢٤ ساعة على تحركه.. كما انه في نهاية اليوم كان قد انسحب مسافة ٣٠ كيلومتر خلال ١٢ ساعة.. كانت الساعة قد بلغت العاشرة ليلة ٨ / ٩ يونيو.. عندما توقف اللواء بعد آخر ضوء على مسافة ٣٥ كيلو متر من القناة وأحتل ببقاياه موقعا دفاعيا في انتظار أي اوامر تصله.

أما خسائره في الدبابات فقد بلغت حوالي ٧٥٪.. وعندما عبرت أخر عناصر اللواء قناة السويس الى الضفة الغربية للقناة عند الإسماعيلية، كانت الساعة تشير الى الواحدة من صباح يوم الجمعة ٩ يونيو.. وكان الكوبري العسكري بالإسماعيلية، الذي عبر عليه اللواء، هو أخر الكباري التي نسفت بعد اتمام الانسحاب.. وعندما عادت بقايا اللواء الى الضفة الغربية للقناة، كان اللواء الثالث قد امضى خمسة وخمسون ساعة كاملة "ومتصلة" أما متحركا على الطرق أو مشتبكا في قتال أو معرضا لهجوم جوي.

تلك كانت شهادة احد قيادات اللواء المدرع الثالث.. أحد ألوية الفرقة الرابعة المدرعة..

قصة اللواء الثاني المدرع

كانت قصة اللواء الثاني المدرع - أحد ألوية الفرقة المدرعة الرابعة - مشابهة تماما لنظيره اللواء الثالث.. فقد تولى "المشير وشلته" إدارة المعركة بالتليفون من مكتبه في القيادة العامة.. دون أن يكون لقيادة الجبهة أي دور أو فاعلية فيما يصدر من قرارات كارثية خلال تلك الأيام المشئومة..

وسنقدم هنا عرضا سريعا ملخصا لما حدث مع اللواء الثاني من خلال شهادة العميد "كمال حسن علي" (الفريق أول فيما بعد) قائد اللواء الثاني المدرع :

× في يوم ٥ يونيو استيقظت مبكرا كعادتي بمنطقة تجمع اللواء بمنطقة "تمادا" وشرعت في استكمال مروري على وحدات اللواء مبتدئا بكتيبة الدفاع الجوي.

× في الساعة التاسعة وخمس دقائق كنت بين مواقع المدافع ذاتية الحركة، عندما لمحت طائرة اسرائيلية تعرفت عليها اطقم الدفاع الجوي وكذا أطقم المدافع. كانت الطائرة في طريقها مع طائرات أخرى لضرب مطار "بير تمادا" الذي يبعد عن مركز مواقع اللواء حوالي خمسة كيلو مترات.

× كان على هذه الطائرات ان تطير طيرانا منخفضا لتضرب طائراتنا وهي واقفة ولتسقط أيضا قنابل الممرات.. وكانت تطير بموازاة المممرات التي تتجه على طول وادي المليز . وكانت بهذا الشكل هدفا سهلا لمدافع كتيبة الدفاع الجوي التابعة للوائنا.

× ولكن في هذا اليوم كانت الأوامر تقضي بتقييد النيران وعدم الاشتباك بأي طائرة في السماء وذلك حتى وصول طائرة المشير لمطار التمادا (!!) ولكننا سمعنا دوي الانفجارات واضحة ورأينا الطائرات المعادية وهي ترتفع تدريجيا الى السماء بعد ضربها للمطارات. وهكذا تم الاشتباك معها برغم الاوامر التي كانت تنص بعكس ذلك.. وهكذا تمكنت مدافع الكتيبة المضادة للطائرات من اسقاط ثلاث طائرات للعدو.

× ولكن ما كادت الموجة الأولى تنتهي حتى بدأت الموجة الثانية.. وجاءت إحدى طائرات العدو مستترة من وراء الجبال الشمالية للوادي لتقوم بهجوم مكثف على كتيبة الدفاع الجوي.. فدمرت أحد المدافع واستشهد فردان أحدهما مدني هو عامل التسليح. ومع ذلك لم تتوقف الكتيبة عن الاشتباك واستمرت باقي المدافع توجه نيرانها بثبات وبسالة.

× استمرت الغارات فوق اللواء في ذلك اليوم، ولم تنقطع حتى الساعة الثانية عشر ظهرا ،وعندئذ تلقيت أمرا بتحرك اللواء للأمام بعد أخر ضوء لإحتلال منطقة "مطلة خرم" قرب القسيمة لدعم اللواء ١٢٤ مشاة واللواء الآخر الذي كان قد وضع قبل ذلك تحت قيادتي.. كانت القيادة لازال مسيطرا عليها فكرة أن العدو سيهاجم هذا المحور على الرغم مما ذكرته لها في تقريري بعدم صلاحية هذه الأرض لمثل هذا الهجوم.

× وعلى الفور تركت مركز تجمع اللواء وتحركت الى الامام مع مجموعات استطلاع ومعنا بعض عناصرمن المهندسين اللازمين لتجهيز منطقة التجمع الجديدة والممرات المؤدية اليها ،والتي ثبت ان ارضها طفلية وناعمة كالبودرة، لذلك تطلب الاستعانة بمهندسي الجيش بالإضافة الى مهندسي اللواء حتى تتمكن الدبابات من السير على هذه الأرض، وكي يتحمل السطح وطأة السير عليها بجنازير الدبابات التي ستثير ذرات من التراب وتبطئ من حركتهامما يعرضها لضرب الطائرات المعادية.

× وفي الساعة الثانية مساء تحرك اللواء من منطقة تمركزه الى المنطقة الجديدة فوصلها الساعة الثالثة من صباح يوم ٦ يونيو (!!) لقد قطع المسافة التي تقرب من ١١٠ كيلومتر في المدة المحددة له، ودخلت الدبابات في الحفر التي أعدت لها على وجه السرعة.. في هذا الوقت كانت طائرات العدو تقوم بالإغارة على منطقة الحسنة القريبة منا - وكان بها فوج مدرع - ولحسن الحظ لم تكتشف وجود دباباتنا فلقد بدأت عمليات الإخفاء والتمويه من لحظة دخول الحفر.

أمر جديد وغريب بالعودة لتمادا مرة أخرى!!

ولم تكد القوات تستقر في اماكنها ومخابئها، حتى صدر الي في الساعة العاشرة صباحا أمرا جديدا من قيادة الفرقة بسحب اللواء وإعادته للخلف الى منطقة تمركزه بمنطقة "التمادا" التي كان بها وعلى نفس الطريق الذي قطعه بالأمس طوال الليل (أي أقل من عشر ساعات من وصوله).

كانت هذه هي تعليمات القيادة الميدانية للجيش (يقصد قيادة الجبهة: مرتجي، وصلاح محسن) بعد أن بدأت تدرك معالم الهجوم المعادي واتجاهاته الرئيسية والتي لم يكن من بينها بالمرة هذا الاتجاه الذي سبق ان استبعدته في تقريري الاستطلاعي وبينت فيه عدم احتمال استخدام العدو لهذا المحور كإتجاه رئيس لعدم صلاحية الأرض!

وفي الحادية عشر بدأت رحلة العودة مرة أخرى الى "التمادا" بعد أن أبلغت قادة وحداتي مع كل التبريرات التي حاولت جاهدا أن أجعلها تبدو مقنعة ومنطقية.. وقاموا بتنفيذ الأوامر في طاعة تامة كما هي العادة وهم يكظمون في قلوبهم تبرمهم واستيائهم.

وفي حوالي الثانية عشر لمحتنا احدى طائرات العدو المروحية ونحن نتحرك للخلف مكشوفين في العراء في وضع لا يحظى العدو على افضل منه لتنفيذ خطته المفضلة والتي كرس نفسه لإنتهازها منذ سنين.. وبالطبع لم تمر دقائق قليلة حتى بدأ الطيران الإسرائيلي في الظهور.

مناورات وصمود بطولي لقواتنا

ويستكمل العميد كمال حسن علي قائد اللواء الثاني المدرع (الفريق أول فيما ورئيس الوزراء فيما بعد) كيف واجه الموقف الجديد قائلا:

كانت الدبابات الأولى من كتيبة المقدمة تكاد تصل الى غرب الوادي ومن خلفها كل دبابات الكتيبة تتحرك في قلب الوادي عندما بدأت الطائرات المعادية تضربها بكل كثافة وعنف.

إزاء هذا الموقف الواضح المخاطر.. اتخذت قرارا على مسئوليتي، فأمرت باقي اللواء بالإنحراف غربا بإتجاه الحسنة ثم العودة بعد ذلك الى الطريق الأصلي نحو الجنوب. ورغم ان هذا الإنحراف قد يطيل الطريق نحو ٢٠ كيلومتر اضافية ولكن في هذه الحالة ستتاح لدبابات اللواء ان تنتشر على جانبي الطريق بدلا من محاصرتها داخل الوادي الضيق مما يقلل من الخسائر الناجمة عن الضرب الجوي.

ومع ذلك استمر الضرب الجوي المركز على اللواء نحو ثمان ساعات متصلة من الثانية عشر ظهرا حتى الثامنة وخمس دقائق مساء مع اختفاء أخر ضوء من الأفق، وبعد الغارات كان لابد من استعادة السيطرة على القوات واخلاء المصابين ودفن الموتى واصلاح ما يمكن اصلاحه من الدبابات والمعدات مع إعادة توزيع الافراد الذين أعطبت معداتهم ودباباتهم.

مفاجأة ليست في الحسبان.. أمر جديد بالإنسحاب!

استمر اللواء بالسير.. لكن ما أن وصلت الى مقر قيادة اللواء، حتى وجدت في انتظاري مفاجأة جديدة (!!) كان في انتظاري امر جديد تسلمته كتابة من قائد كتيبة المقدمة الذي كان قد وصل الى مقر قيادة الفرقة قبلنا في حوالي السابعة مساء.. فقد

استدعاه قائد الفرقة لحظة وصوله.. وأعطاه هذا الأمر الكتابي.

كان مؤدى الأمر أن يتحرك اللواء الثاني المدرع "مرة ثالثة" وفي اقل من ٢٤ ساعة من مكانه الحالي ويتجه الى منطقة الجدي التي تقع على بعد اربعين كيلو متر من جهة الشمال الغربي لكي تحتل ممر الجدي وذلك كي يستر انسحاب باقي وحدات الجيش الميداني التي صدر لها الأمر بالإنسحاب اليوم ٦ يونيو.

وكان الأمر يقضي بأن يبقى اللواء في مكانه الجديد حتى الثانية عشر من ظهر اليوم الثاني (٧ يونيو) ثم ينسحب هو نفسه بعد ذلك الى غرب القناة(!!)

وما ان انتهيت من استيعاب الأمر وأخذت في ابلاغه من جديد الى كافة القادة المرؤوسين، حتى تعالت أصوات أحدهم بالإستياء من كلمة "الانسحاب".. لماذا الانسحاب (؟!!) إننا لم نلتق بأي جندي من جنود العدو؟ ولكنني أسكته.. فالأمر أمر.. والواقع اننا منذ لحظة بدء المعارك ونحن نجري بهذه الدبابات فوق الارض لتطاردنا طائرات العدو في وضع أشبه بالفريسة التي يطاردها صيادها المسلح.. ومع صدور تعليماتي، عاد الانضباط من جديد.. كان علينا أن نحصر الخسائر في كل الوحدات بعد الضرب العنيف لمدة ثماني ساعات..

لقد بقي للواء ٥٣ دبابة من أصل ٩٤.. و ١٦ عربة مدرعة من أصل ٣٨ .. ومدفع واحد ذاتي من أصل ثمانية.. أما بقية اللواري والمعدات فلم يتبق منها سوى نسبة تعادل ٣٠٪ من القوة المقاتلة للواء.

×××××××

« ١٣ »

قصة الفرقة الرابعة.. شهادة خطيرة للفريق كمال حسن علي قائد اللواء الثاني في سيناء
تضارب القرارات بين المشير عبد الحكيم عامر والقيادة الميدانية سبب الكارثة
في كل اشتباك بالدبابات كان العدو ينسحب ويترك المهمة للقصف الجوي

رغم الفوضى التي سيطرت على مسرح العمليات في سيناء بسبب تضارب القرارت بين القيادة المركزية في القاهرة، التي أصدرت قرار الانسحاب إلى قادة الفرق مباشرة وبين قيادة الجيش المغيبة عن الوعي، والتي أعادت الفرق مرة أخرى الى سيناء تحت القصف الجوي الرهيب لطيران العدو.. رغم ذلك كانت هناك بطولات لجيشنا العظيم، وعندما كانت تقع اشتباكات مباشرة بالدبابات كان العدو ينسحب ويترك المهمة لسلاح الطيران، تعالى نواصل قراءة قصة الفرقة الرابعة المدرعة التي كانت درة الجيش المصري آنذاك.

أم الكوارث!

في العاشرة مساء ذلك اليوم، عقدت اجتماعا للقادة للمرؤوسين.كنت أعلم ان طريق تحركنا نحو الشمال لإحتلال مضيق الجدي مزدحم بالدبابات والعربات المنسحبة من وحدات الجيش الأخرى.ولذلك قررت الإنتظار حتى ما بعد منتصف الليل حتى لا تتداخل القوات في الظلام.. كانت المسافة بيننا وبين مضيق الجدي حوالي اربعين كيلو.. أي أننا نستطيع احتلال المضيق بسهولة قبل حلول أول ضوء.. ومن مدخله الى مخرجه.
وكانت القيادة العامة في القاهرة قد أصدرت أمر الإنسحاب العام من سيناء خلال ٢٤ ساعة.. وكانت كل الحسابات البسيطة تقول بإستحالة هذا.. وكما يحدث في كل انسحاب عاجل غير منظم ويتم بدون تخطيط مسبق.. تداخلت كتائب دبابات لواء مشاة - تصادف سيرها على نفس طريق وادي المليز - مع سرية من الكتيبة الثالثة من لوائي المدرع واستمرت في السير معها متجهة نحو الطريق الأوسط في اتجاه الاسماعيلية غربا بدلا من ان تتجه شرقا الى ممر الجدي.. وهكذا انفصلت تماما عن اللواء (!!)
وصلت كتائب اللواء للمضيق واتخذت مواقعها تماما وظلت في مواقعها حتى الثانية عشر ظهرا.. وهو الموعد المحدد لبدء الانسحاب باتجاه القناة (كما جاء بالامر الكتابي).. وحتى هذه اللحظة لم يظهر العدو ولم يحدث أي اشتباك بري معه (!!).
في ذلك الوقت تعذر الإتصال اللاسلكي مع بقيادة الفرقة فقد كان التداخل اللاسلكي على اشده.. ولم نستطع ان نسمع سوى عدد

من التعليمات اللاسلكية المتضاربة لوحدات بعضها لم يكن معروفا لنا بالمرة.

كان الأمر بالإنسحاب الى غرب القناة المنصوص عليه في امر عمليات الفرقة الذي تسلمه قائد كتيبة المقدمة.. أمرا يثير الإستغراب تماما.. فنحن لم ندخل بعد في اي اشتباك مع العدو.. ولم نر العدو بالمرة.. وتساءلت في نفسي لماذا العجلة في أمر الإنسحاب من الممرات.. نحن لم نكن تحت أي ضغط بالمرة (!!).

وعلى الطريق المؤدي من مضيق الجدي حتى كوبري جنوب البحيرات تقابلت مصادفة مع اللواء محمد الجمسي قائد عمليات الجبهة آنذاك واللواء عماد ثابت مدير المدرعات، وكان ذلك حوالي العاشرة من صباح يوم ٧ يونيو.ولقد سألاني عن موقف اللواء بعد الضرب الجوي المكثف الذي واجهه بالأمس أثناء انسحابه من المليز.. وعندما أخبرتهما بموقف اللواء، ذكر اللواء عماد ثابت في سياق الحديث أنه "يعتقد" (!!) أن الأوامر تقضي ببقاء وحدات الفرقة المدرعة (ومن بينها لوائي) في منطقة المضايق دون تحديد وقت معين للإنسحاب منها (!!)

كان من الواضح من سياق هذا الحديث، أن قيادة الجبهة لم تكن على علم بأمر الإنسحاب العام وتفاصيله حتى ذلك الوقت نظرا لإنقطاع الاتصالات بينها وبين قيادة الجيش الميداني (يقصد القيادة العامة للمشير) التي أصدرت أوامرها رأسا الى وحدات الجيش بالإنسحاب.

وفي حوالي الساعة الثانية عشر ظهرا تقابلت مع اللواء صدقي الغول قائد الفرقة الرابعة المدرعة.. وكان ذلك أول لقاء لي معه منذ يوم ٥ يونيو.. فأخطرته بموقف اللواء وتأكدت منه من أمر الإنسحاب الى غرب القناة الذي يبدأ الساعة ١٢ ظهر يوم ٧ يونيو.

وفي حواري معه ذكرت الحوار الذي دار بيني وبين اللواء عماد ثابت.. فأخذ يؤكد لي على التعليمات الكتابية التي كنت قد تسلمتها من قائد كتيبة المقدمة.وان هذه التعليمات هي آخر تعليمات تلقاها من قائد الجيش الميداني (الفريق صلاح محسن) قبل انسحاب قيادة الجيش نفسها الى الاسماعيلية.ثم أكد لي اللواء صدقي الغول بنفسه ان فكرة بقاء القوات في المضايق هي فكرة قديمة كانت مطروحة فعلا قبل صدور الأمر الأخير بالإنسحاب العام من سيناء (!!).

عندئذ تسلمت نسخة ثانية مكتوبة من العميد صالح أمين رئيس عمليات الفرقة.. وهكذا تأكد لي الأمر بالإنسحاب وأصبح يقينا.وبدأت وحدات اللواء في الانسحاب من مضيق الجدي، واستطاعت الكتيبة الأولى منه أن تصل في نحو الساعة الثالثة الى كوبري جنوب البحيرات.

كانت جميع الكباري والمعديات يسيطر عليها أفراد الشرطة العسكرية التابعة للجيش الميداني وكذلك شرطة الرئاسة.. وكانت كل نقطة شرطة يحمل أفرادها كشوفا باسماء الوحدات وتوزيعها على المناطق التي تتجه بعد عبورها الى غرب القناة.

عودوا بسرعة الى سيناء!

فيما يتعلق بلوائي الثاني المدرع.. كانت قد وصلت ثلاث دبابات بالفعل واجتازت كوبري جنوب البحيرات الى الضفة الغربية للقناة.. ولكن اوقفت هذه الدبابات على بعد ثلاث كيلومترات من الكوبري وصدرت اليها الأوامر بالعودة مرة أخرى الى شرق القناة حيث كانت بقية اللواء في ذلك الوقت في منطقة شرق جنوب البحيرات.

كان اللواء حتى هذه اللحظة ومنذ بدء القتال في يوم ٥ يونيو.. قد قطع مايقرب من ٣٥٠ كيلومتر فوق الجنازير دون ملئ خزاناته بالوقود، الأمر الذي أدى الى توقف ١٢ دبابة منه على طريق العودة الى القناة.وبمجرد وصولي الى منطقة التمركز شرق الكوبري أجريت بعض الاتصالات للحصول على الوقود اللازم واستعواض بعض التعيينات من الاطعمة والمعلبات.

وعند الكوبري التقيت مرة أخرى اللواء صدقي الغول وكذلك الفريق صلاح محسن الذي أخذ يستعجل عودة اللواء فورا الى منطقة مضيق الجدي فطلبت منه سرعة امدادي بالوقود بعد ان شرحت له موقف اللواء.كان من الواضح ان الرجل واقع تحت ضغوط كثيرة مرهقة.. وكان همه الأوحد هو عودة الفرقة المدرعة مرة أخرى الى احتلال المضايق وفي اسرع وقت وبأي صورة (!!)

ولم يكن هناك بد من الانتظار حتى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل في انتظار الوقود (!!) وفي هذه الفترة عاد الينا مرتين الفريق صلاح محسن ليستعجل دفع الفرقة الى المضايق (!) جاءنا المرة الاولى في الساعة الثامنة والثانية بعد ساعتين في العاشرة (!!) وعندما وصل الوقود الينا وجدناه معبأ في براميل وليس داخل فناطيس وهي طريقة بدائية للغاية يتم فيها الملأ باليد (!!)

وفي نحو الساعة الرابعة صباحا بدأ تحركي باللواء في اتجاه الشرق متجها مرة اخرى الى مضيق الجدي الذي كنت قد غادرته منذ ساعات (!!) بينما سبقتنا رئاسة الفرقة بقيادة اللواء صدقي الغول لإحتلال منطقة غرب المضيق قبل تحركنا بساعتين.. وهو ما يثبت عدم تخاذل اللواء صدقي الغول.. الا ان وحداته كانت قد تشتت بين الهايكستب والتل الكبير وغيرها.. مما احتاج لبعض الوقت لإعادة تجميعها ودفعها مرة ثانية باتجاه المضايق تبعا للتعليمات الجديدة الصادرة من قيادة الجيش الميداني (!!)

اللواء الثاني المدرع يدافع ببسالة عن مضيق الجدي

في صباح اليوم التالي ٨ يونيو كانت عناصر استطلاع اللواء قد وصلت في الساعة السابعة تماما الى شرق مضيق الجدي المطل على وادي المليز، ولقد قامت عناصر الاستطلاع بالإبلاغ عن تقدم قوات العدو في هذا الإتجاه.وهكذا لم تظهر وحدات العدو البرية الا بعد ثلاثة ايام من بدء المعارك بعد أن تيقنت تماما من ان طقوس الانسحاب لوحداتنا قد بلغت الذروة من الإجهاد والارهاق والارتباك والتعرض لنيران طيرانهم المعادي الذي ملك السيطرة الجوية الكاملة.

أمرت قائد كتيبة المقدة بالفتح استعدادا للمعركة عند المدخل الغربي للمضيق وذلك حتى يسهل لدباباتنا ان تنتشر خارج المضيق تفاديا للضرب الجوي اذا انحصرت بداخله.أما باقي الوحدات فقد أخذت اوضاعها في انساق متتالية خلف كتيبة المقدمة.ومع تقدم العدو بدأت عناصر الاستطلاع في الانسحاب للخلف لإستدراج وحدات العدو الى الكمين المعد عند الطرف الغربي للمضيق.وفي هذه الأثناء استشهد قائد الإستطلاع باللواء النقيب "حسام الخشاب".

وعندما وصلت دبابات العدو بدأت كتيبة المقدمة بالإشتباك معها لأول مرة منذ بدء القتال.وفي التو خسر العدو ٦ دبابات وعربة مدرعة.بينما كان مجمل خسائر كتيبة المقدمة دبابتين فقط.وفي هذه الأثناء أوقف العدو القتال .

كان من الضروري إجراء استطلاع جديد للمضيق من داخله للتعرف على موقف العدو وهل انسحب من المضيق ام مازال باقيا لمواصلة القتال.وكان قراري بدفع فصيلة دبابات فقط للقيام بهذه المهمة، وتعمدت عدم دفع قوات أكثر من ذلك حتى لا يتم استدراجها داخل المضيق.. ثم قررت لجملة اسباب ان أقوم بنفسي بمهمة الاستطلاع مع قائد كتيبة المقدمة وعندما وصلنا للدبابات الثلاث الأمامية أسقط العدو طلقة هاون ملونة (خضراء) أمام موقع الدبابات.وأدركت ان هذه الطلقة بغرض تحديد الحد الأمامي لقواته ولطائراته وتميز بين حدود قواته البرية وقواتنا داخل المضيق.

أعقب سقوط الطلقة هجوم مركز من طائرات العدو على الدبابات الثلاث، وبالفعل انتهى منها ثم انتقل الى الانساق الخلفية من الدبابات والمدافع المضادة للطائرات والتي لم تتوقف عن الضرب والقتال طوال الثلاث أيام الماضية واليوم الرابع، حتى استشهد رجالها في استبسال رائع بعد أن دمرت عن آخرها بطائرات العدو.

استمر الطيران الإسرائيلي في لعبته المشهورة .. فهو الطرف الوحيد في الميدان.. كانت طائراته تهاجم بالصواريخ والنابالم في طيران منخفض حتى كدنا نتبين وجه طياريها، واستخدمت وحداتنا كل الاسلحة في محاولة لضرب طائرات العدو المنخفضة حتى الطبنجات.ولكن كل هذه المحاولات كانت بدون جدوى ففي الصحراء من يملك السيادة الجوية يكسب المعركة قبل ان تبدأ.

إزاء هذا الموقف العصيب اضطررت للعودة الى مركز اللواء، إلا ان احدى الطائرات ركزت صواريخها على العربة اثناء عودتها فانقلبت على جانبها نتيجة اصابة جاءت الى جانبها ولم تصبها اصابة مباشرة.وشعرت في الحال بإصابة في الجانب الأيمن من بطني كما اصابت الشظايا السائق وعامل اللاسلكي.وبقيت ملقى على الطريق لمدة عشرين دقيقة حتى وصلت عربة قائد الكتيبة الميكانيكية باللواء.

وحملتني السيارة في ذلك اليوم مع السائق الجريح وزميله عامل اللاسلكي الى مستشفى الهلال بالسويس.. وانتهت المعركة بالنسبة لي في هذا اليوم ٨ يونيو (الفريق أول كمال حسن علي.مشاوير العمر.اسرار وخفايا ٧٠ عاما من عمر مصر، في الحرب والمخابرات والسياسة، دار الشروق، من ص ٢٢٨ – ٢٤١، دار الشروق).

مفاجأة!

بعد أربعين عاما.. العدو الإسرائيلي يعترف بقتال الجيش المصري في حرب يونيو ١٩٦٧..

×××××××

« ١٤ »

مفاجأة : إسرائيل تعترف - أخيرا - بمقاومة الجيوش العربية في حرب ١٩٦٧

مفاجأة : إسرائيل تعترف - أخيرا - بمقاومة الجيوش العربية في حرب ١٩٦٧
أعنف مقاومة واجهت الإسرائيليين جاءت من الفرقة الفلسطينية العشرين التي لم تكن تعد وحدة مقاتلة من المرتبة الأولى وكان يقودها الجنرال المصري محمد عبد المنعم حسني حاكم غزة العسكري
القتال في المنطقة من خان يونس إلى هضبة المنطاركان شرسا وكلف إسرائيل نصف خسائرها التي تكبدتها في الجبهة الجنوبية

١ - استغلت الأبواق " المتصهينة " من عرب وإسرائيليين حرب ١٩٦٧ للنيل من المشروع القومي العربي التحرري الذي كان يقوده " جمال عبد الناصر " .. كانت الهزيمة العسكرية " فرصة " لقوى الرجعية العربية الكامنة في الجسم العربي لكي تعاود الهجوم بعد مرحلة " الكمون " التي لجأت لها في ظل صعود المشروع التحرري العربي .

وبعد موت عبد الناصر ظهر التحالف الرجعي الجديد لينظم " سيمفونية " الحرب النفسية المضادة للمشروع القومي العربي .. تحالف جديد قوامه : قوى الثورة المضادة في مصر التي قادها السادات بعد أن استتبت له أمور الحكم .. أذيال قادة الهزيمة من " شلة عبد الحكيم عامر " الذين عزلوا من الخدمة وحوكموا وصدرت بحقهم أحكام بالسجن .. قوى الرجعية العربية التقليدية خارج مصر والتي وجدت من " الوريث " المتربع على قمة السلطة في مصر " السادات " تجاوبا وتعاونا نموذجيا لإنهاء " الميراث الثوري " المتبقي من الحقبة الناصرية .. وأخيرا الصهيونية العالمية - إسرائيلية وأمريكية - والتي وجدت في الهزيمة العسكرية فرصة " لشرشحة " المشروع الثوري الذي قاده " عبد الناصر " والذي التفت حوله الجماهير العربية في الخمسينات والستينات والذي لازالت اصداءه تتجاوب في النفوس العربية.

نواة هذه الحرب النفسية وأساسها يقوم على فكرة بسيطة هي : " أن نظام عبد الناصر العسكري الديكتاتوري لم يكن سوى بناء هش لم يلبث ان تهاوى وبسرعة فائقة أمام القدرة العسكرية الإسرائيلية ولم يستطع حماية الوطن " !!
لقد استغلت (بضم الألف) هزيمة يونيو ١٩٦٧ اقصى استغلال ممكن من القوى المضادة للثورة .. ان قشرة التقدمية والتحديث والفوران الثوري التي عاشها الوضع العربي مع عبد الناصر ، مالبثت أن انتهت بعد وفاته .. ليعود الوضع العربي لحقيقته البشعة .. حقيقته المحافظة التقليدية الذهنية والاجتماعية والسياسية والثقافية ..
لقد كانت الناصرية جملة اعتراضية قصيرة في تاريخ عربي طويل من التخلف والمحافظة والتقليدانية الفكرية والأصولية السياسية !!
٢ - لقد غطت الهزيمة العسكرية في نتائجها العسكرية والسياسية على المقاومة البطولية التي قامت بها الجيوش العربية في ميادين القتال - خصوصا في مصر والأردن - من خلال القادة " الصغار " الذين تحملوا كل تهور وانهيار وخيانات القادة " الكبار " ..
وكان لابد - والحال هكذا - أن ننتظر أكثر من أربعين عاما حتى يأتي " الإعتراف " من العدو نفسه ليشهد بهذه المقاومة التي واجهها بنفسه في ميادين القتال ..
ان كتاب " ميشيل . ب. أورين " الذي أشرنا اليه في بداية هذا الحديث - والذي يتبنى الرواية الإسرائيلية للحرب - يتحدث تفصيلا عن مسار العمليات في الجبهات الثلاث .. ورغم نبرة التباهي التي تميز الكتاب منذ البداية .. فلم يجد بدا من الإعتراف بالمقاومة التي حصلت من الجيوش العربية خلال مراحل القتال الأولى - وقبل انهيار القيادة - بعد الضربة الجوية الأولى.
الجبهة الشمالية
٣ - كانت الخطة الإسرائيلية للهجوم على المحور الشمالي تقوم على عدم الهجوم على رفح مباشرة والإستيلاء عليها عبر قوات من المظليين والإلتفاف حولها من خلال الاستيلاء على خان يونس شمالها بواسطة قوات اللواء ٦٠ بقيادة الكولونيل " مناحم أفيرام " والمزودة ب ٨٦ دبابة شيرمان ودبابات AMX والأطباق عليها كالكماشة .
يقول " ميشيل أورين " في كتابه : " على الرغم من أن جونين قد أنزل الى الميدان ترسانة رهيبة بما في ذلك ٥٨ دبابة سنتوريون و ٦٦ دبابة باتون ، فقد عهد الى كتيبة واحدة مهمة إختراق خان يونس .. تقدمت هذه الكتيبة الى المدينة ولم تواجه سوى بمقاومة بسيطة .. ثم انفتحت أبواب الجحيم فجأة (!!) كما ذكر " أوري أور " أحد ضباط وحدة الاستطلاع الذي اصيب نصف رجاله .. إذ انهالت علينا قذائف المدفعية والرشاشات والمدفعية المضادة للدروع .. كان كل شيئ يصب نيرانه علينا .. إذ أخذت الدبابات المصرية من طراز T-٣٤ مواقعها وفتحت نيرانها علينا . اصيبت نصف مجنزرة اسرائيلية قبل ان تصعد الطريق وقتل الجنود الثمانية الذين كانوا فيها .. فأستدعيت كتيبة دبابات أخرى .. ولكنها ضربت هي الأخرى (!!) أما أعنف مقاومة واجهت الإسرائيليين فجاءت من الفرقة الفلسطينية العشرين التي لم تكن تعد وحدة مقاتلة من المرتبة الأولى وكان يقودها الجنرال المصري محمد عبد المنعم حسني حاكم غزة العسكري .
ويستكمل " ميشيل اورين " وصف معارك المحور الشمالي قائلا : " سرعان ما دمرت ست دبابات طليعية من دبابات " غونين " وقتل ٣٥ ضابطا من ضباطه وغاصت قوة " افيرام " في الرمل وشكلت الكثبان الرملية " كابوسا " ملاحيا للمظليين .. أصيب الإسرائيليون في واقع الأمر بخسائر فادحة وهم يقاتلون لشق طريقهم عبر مرابض المدفعية المضادة للدرع (المدرعات) والكائنة على جانبي الطريق والمتاريس الحجرية التي اجبرتهم على الخروج عن المحور الرئيسي الى متاهة من الممرات الضيقة .. كان الهدف هو رفح حيث تنتشر المعسكرات لآن الهدف الرئيسي هو الدفاعات المصرية في الشيخ زويد التي تبعد ثمانية أميال الى الجنوب الغربي من رفح ..
قال " جونين " فيما بعد للمراسلين : " كانت المدفعية المصرية رابضة في حفر عميقة وكانت تطلق عشر رشقات دفعة واحدة .. وفي كل رشقة كانت تشتعل احدى دباباتنا نارا .. تركنا الكثير من جنودنا قتلى في رفح ودبابات محترقة " ..
وكان لابد من استدعاء مدفعية ثقيلة وضربات جوية لتمكن العناصر الاسرائيلية الطليعية من الاختراق .. قتل اللواء عبد العزيز سليمان (قائد الفرقة السابعة وهي وحدة شكلت قبل ثلاثة اسابيع فقط من الحرب وكان مديرا لمدرسة المشاة وكان معظم ضباط الفرقة من مدرسين في مدرسة المشاة .. وكانوا بالتالي غير مهيئين لمواجهة هجوم اسرائيلي غير تقليدي من البحر وعبر الرمال ولم تكن مدافعهم العشرين ودباباتهم ٦٦ العتيقة يمكن أن تقارن بالقوة الإسرائيلية الأكبر والمسلحة بدبابات حديثة من طراز سينتوريون وباتون .. هذه الملاحظة من عند ميشيل أورين) . ولدى فقدان المصريين قيادتهم تخلو عن مواقعهم تاركين اربعين دبابة وألفي قتيل وجريح .

التقدم الى العريش وسط مقاومة مصرية بطولية



٤ – ويستكمل " ميشيل أورين " وصف معارك المحور الشمالي قائلا : " .. اساءت كتيبة أفيرام تقدير جناح العدو (يقصد المصريين) وهكذا وجدت نفسها محصورة بين موقعين محصنين .. استغرق إنقاذ القوة عدة ساعات .. ومع ذلك استطاع الاسرائيليون تطهير المنطقة تماما بحلول منتصف الليل .. آلاف الجنود المصريين وسيارات الجيب والشاحنات كانت تمر بالمهاجمين وهم يعيدون تجميع انفسهم على الطريق الى العريش .
أصبح هذا الطريق مفتوحا لجيش الدفاع الإسرائيلي (بعد انسحاب القوات المصرية من رفح) .. وفي آخر النهار قامت عناصر من الكتيبة المدرعة ٧٩ من جيش الدفاع الإسرائيلي بشن هجوم عبر شعب " جيرادي " وهو ممر ضيق بين الكثبان الرملية المتحركة .. ويصف تقرير داخلي من تقارير جيش الدفاع الإسرائيلي ماحدث في هذا الممر وصفا مخيفا : " .. على جانبي الطريق كانت مكامن الدبابات والمدافع المضادة للمدرعات وأعشاش الرشاشات .. وكلها مرتبطة بخنادق محاطة بالألغام .. وأطول مسافة بين موقعين كانت خمسين مترا .. فوجئ المصريون بالرتل الإسرائيلي الذي لم يطلقوا عليه النار (!!) ظن القائد الإسرائيلي أن المصريين قد هربوا فأمر رجاله بالكف عن اطلاق النار .. ولم يكتشف أن المصريين لم يهربوا ألا بعد أن وصل الرتل الى منتصف الممر (!!)
٥ – ويستكمل " ميشيل اورين " وصف مادار من قتال للسيطرة على هذا الممر قائلا : " تناوب السيطرة على الممر المصريون والإسرائيليون عدة مرات (!!) قبل أن ينظفه الاسرائيليون تماما وخرجوا عند طرفه الغربي .. حيث تقدموا عشرين ميلا في امسية واحدة .. وبعد ذلك تقع ضواحي العريش التي يبلغ عدد سكانها ٤٠ الف نسمة ، وحيث توجد القيادة الإدارية للجيش المصري في سيناء .. وكتب الليفتنانت " يوسي بليد " فيما بعد يقول " وصلنا هدفنا الساعة العاشرة تحت جنح الظلام ، وكانت الدبابات المصرية مشتعلة أمامنا بقدر ما تتيح لنا الرؤية ، وكان الجنود المصريون يستلقون بينها .. وكذلك بعض دباباتنا قد اشتعلت ولم يعد الجنود الإسرائيليون الذين كانوا يستلقون بينها أحياء (!!)
ويكمل ميشيل اورين وقائع القتال على هذه الجبهة قائلا : فقد الاسرائيليون إجمالا ٢٨ دبابة و ٩٢ جنديا جريحا و ٦٦ جنديا قتيلا .

الأعتراف بالندية !!

ويكمل " أورين قائلا " نصا وبألفاظه : " برغم ارتفاع الخسائر الإسرائيلية (!!) استمر الهجوم الإسرائيلي بأسرع مما هو مخطط له ،، والغي هجوم مشترك من البحر مع مظليين جويين كان مقررا في اليوم التالي على العريش .. وحول المظليون الذين كانوا سيشتركون فيه الى القدس .. ورغم ان المعركة لم تحسم بعد ، فقد ربح الإسرائيليون ، معركة حاسمة في ظروف كان العدو فيها " ندا " قويا (!!) بحيث لم تستطع القوات الجوية ان تلعب فيها دورا كبيرا لإنشغالها بالخطة " فوكس " . (ميشيل . ب . أورين ، ص ٣٤١- ٣٤٢ ، مصدر سبق ذكره)
ونستنتج من كلام " أورين " ان المقاومة المصرية في المحور الشمالي (غزة – رفح – العريش) والتي كان قوامها المدرعات والمشاة المصرية للفرقة السابعة ، كانت بالفعل في غاية الندية رغم حرمانها من أي دعم جوي واستشهاد قيادتها في اللحظات الأولى للمعارك .. ورغم ذلك تكبدت القوات الإسرائيلية خسائر كبيرة باعتراف جونين ويوسي بيليد .. فيما كتبه ميشيل اورين في كتابه ..
استطاعت فوات الكولونيل " جونين " التغلب على المقاومة المصرية المحرومة من أي دعم جوي بعد تصفية سلاح الجو المصري في الساعات الأولى للمعركة ..
ويستكمل " ميشيل أورين " وصف معارك المحور الشمالي على النحو التالي : " .. نجحت دبابات " جونين " ، في الشمال ، في اختراق ممر " جيرادي " ، للإتصال بالعناصر المتقدمة على جانبه الغربي والتقدم على مشارف العريش .. اندفع جونين ليتوحد معهم ، وليتقدموا الى مطار العريش بعد تلقي المؤن عن طريق اسقاط جوي الذي احتله في الساعة ٧,٥٠ . ومع ذلك مازالت نهاية المعركة بعيدة (يقصد معركة الاستيلاء على العريش . ص . حاتم)
ويذكر " أورين " في هذا الصدد ماقاله " يوسي بيليد " أحد قادة الفصائل فيما بعد واصفا معركة الإستيلاء على العريش كالتالي : " دخلنا المدينة الساعة الثامنة صباحا قاصدين قطعها للوصول الى طريق الساحل .. كانت العريش هادئة تماما ومهجورة .. وفجأة .. انقلبت المدينة الى مستشفى للمجانين .. فأنهالت رشقات الرصاص علينا من كل حدب وصوب .. من كل زقاق وزاوية .. من كل نافذة وبيت " (!!)
وأثناء شرح جونين لعدة وحدات لكيفية تطهير العريش .. قسم قواته الى ثلاثة اتجاهات .. رتل من الدبابات والمهندسين والمدفعية بقيادة الكولونيل " يسرائيل جرانيت " استمر في تقدمه على طول شاطئ المتوسط باتجاه القنال . في حين تحولت قوة اخرى بقيادة جونين نحو الجنوب باتجاه بير لهفان وجبل لبنى .

أما القوة الثالثة بقيادة الكولونيل " إينان " ومظليو اللواء ٣٥ فقد أمروا باحتلال غزة .. كان القتال في المنطقة من خان يونس الى هضبة المنطار شرسا كما كان يخشى ديان وكلف اسرائيل نصف خسائرها التي تكبدتها في الجبهة الجنوبية .. كان حظ الإسرائيليين من النجاح أقل في معركة حاولوا تفاديها في غزة . كان دايان قد منع صراحة دخول قطاع غزة الذي يبلغ طوله ٢٥ ميلا معللا ذلك بأنه لا حاجة لإسرائيل أن تثقل نفسها ب ٢٥ ألف لاجيء فلسطيني وتورط نفسها بقتال شوارع داخل المدن .. ومع ذلك تم إصدار أمر " الملاءة الحمراء " بعد وقت قصير من فتح المواقع الفلسطينية النار في غزة على مستوطني " نيريم " و " كيسوفيم " المجاورتين . فتجاوز رابين أوامر ديان وأصدر تعليماته الى لواء مؤلل معزز هو اللواء الحادي عشر بقيادة الكولونيل " يهودا ريشيف " بدخول قطاع غزة . وسرعان ماواجهت هذه القوة نيران مدفعية مدمرة ومقاومة باسلة من الجنود الفلسطنيين وبقايا الفرقة السابعة المصرية في رفح .. ولاحظ " رفائيل إيتان " قائد المظليين : " أن الجندي المصري بطبيعته أفضل في الدفاع الثابت منه في الدفاع المتحرك . أما الجنود الفلسطينيون .. فعلى العكس .. كانوا أكثر رغبة بتقديم تضحيات " .

ويضيف ميشيل أورين عن وقائع هذه المعارك قائلا : " قتل سبعون اسرائيليا في بعض أعنف معارك الحرب قتالا .. ومع غروب الشمس كان جيش الدفاع الإسرئيلي قد استولى على هضبة المنطار الحيوية المطلة على مدينة غزة .. ولكنه هزم (بضم الهاء) وصد من مدينة غزة نفسها " (ميشيل أورين ، مصدر سابق ، ص ٣٧٨، ٣٩٣) .

كان هذا ما حدث في المحور الشمالي من مقاومة مصرية – فلسطينية في ظل ظروف صعبة .. كان لابد أن نذكرها بعد أن أعترف العدو مؤخرا بهذه المقاومة .. وهو شيئ مدهش للباحث أن تعترف الكتابات الإسرائيلية الرسمية وشبه الرسمية بشراسة المقاومة العربية من خلال التقارير الداخلية للجيش ا لإسرائيلي وقواده الذين شاركوا في المعارك والتي استند اليها " ميشيل أورين " احد الرواة الرئيسيين لوقائع حرب ١٩٦٧ ... في الوقت الذي تركز فيها الكتابات العربية – في معظمها – على حالة الإنهيار التي حدثت في الجيوش العربية منذ اللحظة الأولى للمعارك .. وهو أمر مخالف للوقائع ومشبوه الدوافع (!!) .

xxxxxx

أسرار وألغاز حرب ١٩٦٧

تأليف الدكتور صفوت حاتم

نشر في صحيفة « الأنوار » المصرية في « ١٤ » حلقة متتالية
إخراج فني سليم حجار
تصميم الغلاف سليم حجار

حزيران ٢٠١٠

ألغاز وأسرار
نكسة يونيو ١٩٦٧

اعادة قراءة وتحليل ماجرى في حزيران يونيو
1967 بمنهج علمي وتوثيق لكل مايكتب،

وقع في يدي .. بالصدفة.. كتاب ضخم صدر حديثا ذو غلاف فخم بعنوان " ستة أيام من الحرب " .. لكاتب " يهودي " اسمه " ميشيل . ب . اورين " صادر عن مطبعة مكتبة جامعة " أوكسفورد " .. وهو كتاب يقدم " الرواية الإسرائيلية الرسمية " عن حرب عام ١٩٦٧ .. أي الحرب بعيون صهيونية .

وقام بترجمة وطبع هذا الكتاب الفاخر عام ٢٠٠٥ .. مكتبة سعودية تسمى " مكتبة العبيكان " ؟!!

وهي دار نشر سعودية كبيرة .. فقد ذيل تصدير العلاف الداخلي تعبير : " فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر " !!

(Michael B.OREN،Six days of War ، Oxford university Press، Ine U.S.A)

وأدهشني جدا أن تبويب الكتاب من الغلاف الأمامي حتى الغلاف الخلفي وقد أهدى المؤلف .. وهو باحث إسرائيلي كتابه الى زوجته " سالي " ولأطفاله : يواف وليا ونعوم ..

وتلى صفحة " الأهداء " صفحة أخرى .. لفت نظري فيهما مقتطفين تتصدرهما أية من آيات القرآن الكريم .. نصها كالآتي :

" فكلا أخذنا بذنبه .. فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا .. ومنهم من أخذته الصيحة .. ومنهم من خسفنا به الأرض .. ومنهم من أغرقنا .. وماكان الله ليظلمهم .. ولكن كانوا أنفسهم يظلمون " (سورة العنكبوت : ٤٠)

وتحت هذه الآية مباشرة يأتي المقتطف الثاني :

" قبائل تهدر كهدير مياه كثيرة ولكنه ينتهرها فتهرب بعيدا وتطرد كعاصفة الجبال أمام الريح وكالجل أمام الزوبعة " (العهد القديم / أشعيا / الإصحاح ١٧ / الآية ٣)

و أتصور أنه أمر عادي أن يضع المؤلف الأسرائيلي آيات من العهد القديم فهو مؤلف يهودي إسرائيلي .. ولكني لا أتصور أنه هو الذي كان وراء وضع الاية المذكورة من القرآن الكريم على نسخة كتابه المترجم للغة العربية .. وهو مالا يدع مجالا للشك أنها من وضع ناشري الكتاب " السعوديين !!



Email : arabunionist@gmail.com - sahara1955@gmail.com

websit : http://www.alfikralarabi.net/vb/forumdisplay.php?f=105